روائع الأدب العالمي للناشئين

ترجمة : الشريف خاطر

مكتبة 2001 الأسرة

مهرجان القراءة للجميع 2001



الأفق المفقود

تأليف : جيمس هيلتون

مراجعة : مختار السويفى



الأفـق المفقـود

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: **الأفق المفقود**

التقنية: **ألوان جواش على ورق**

ولد جيمس هيلتون ١٩٠٠، وتوفى ١٩٥٤، ومن أهم أعماله الأفق المفقود، وداعا مستر شبس، حصاد راندوم.. إلخ... وقد حققت رواية الأفق المفقود مكانة كبيرة، ليس لقيمتها الأدبية فقط، ولكن لأنها - إلى جانب ذلك - أول رواية تطبع طباعة فاخرة، ويقدم فيها رؤيته من خلال ما دار من حوارات بين كونواى وبين اللاما الأكبر حول الحياة فى الوادى، وفى معبد شانجرى لا، ذلك المكان الهادئ المنعزل عن العالم الخارجي، ويتصف المكان بالسحر والهدوء. ويتنبأ هيلتون بحرب قادمة شاملة تكتسح العالم كله.

محمود الهندى

الأفــــق المفقــــود

تـأليـف : چيمس هيلتون
ترجمـة : الشـريف خاطر
مراجعة : مختار السويفى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

الأفـق المفقـود

تأليف : چيمس هيلتون

ترجمة : الشريف خاطر

مراجعة : مختار السويفى

الغلاف
والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د. سـمير سرحـــان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزار ة الشــباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

هذه ترجمة لرواية:

Lost horizon

By : James Hilton

« جيمس هيلتون »

كاتب روائى انجليزى، ولد عام ١٩٠٠ فى التاسع من سبتمبر، وتوفى عام ١٩٥٤ فى العشرين من ديسمبر، لوالد كان يعمل مديراً لأحد المدارس. التحق بكلية كريست بكامبردج وتخرج عام ١٩٢١.

من أهم أعماله التى حققت له شهرة واسعة، **الأفق المفقود** (١٩٣٣)، **وداعاً مستر شبس** (١٩٣٤)، **حصاد راندوم** (١٩٣٤)، وكل هذه الأعمال تحولت إلى أفلام سينمائية حققت نجاحاً كبيراً.

بدأ الكتابة بنشر بعض المقالات فى الصحف، ثم نشر روايته الأولى **كاترين** عام ١٩٢٠. بعد ذلك أصبح صحفياً ونشر بعض الروايات التى لم تحقق له نجاحاً ملحوظا فى عام ١٩٣٤ نشرت رواية وداعاً مستر شبس فى مجلة برتشى ويكلى، وذاع صيته بشكل كبير بعد أن نشرت ثانيه بمجلة أتلانتك منثلى بالولايات المتحدة الأمريكية فى نفس العام. وقد أعيد نشر روايتى الفارس

الأعزل، والأفق المفقود اللتين سبق نشرهما عام ١٩٣٣، وحققتا مبيعات ضخمة نظراً لإقبال القراء عليهما.

سافر هيلتون فى أواخر عام ١٩٣٠، إلى هوليود وكتب بعض سيناريوهات لبعض الأفلام السينمائية.

وقد حققت رواية «الأفق المفقود» لجيمس هيلتون مكانة كبيرة فى مجال تاريخ النشر، ليس لقيمتها الأدبية فقط، لكن لسبب بسيط جداً وهو أنها أول رواية تطبع طباعة فاخرة بغلاف سميك صلب، عام ١٩٣٩.

لقد استخدم جيمس هيلتون عدة أساليب تقليدية فى كتابة روايته. ورغم ذلك، ما أن تبدأ فى قراءة الرواية حتى تأسرك بسرها وجوهها الغامض، وتجبر القارئ على التفكير والتأمل حتى نهايتها التى تركها المؤلف مفتوحة حتى يتساءل القارئ عما إذا كانت مذكرات بطل الرواية «كونواى» عن معبد «شانجرى ـ لا» حقيقة أم وهماً وخيالا.

والحكاية تبدأ بالتقاء أربعة رجال إنجليز فى أحد النوادى ببرلين ذات مساء، ودار الحديث عن اختطاف طائرة صغيرة من مطار باسكال فى الهند منذ أربع سنوات. وعلموا أن أحد أصدقائهم ويدعى كونداى كان من بين المختطفين الأربعة فتساءلوا عن مصيره. بعد إنتهاء اللقاء أسر رثرفورد لأحد الرفاق بأنه رأى كونواى بعد الاختطاف وقدم له نسخة من مذكراته عن المكان الذى كان مختطفا فيه، والتى يعتزم رثورد أن يكتبها بشكل أفضل كرواية.

ورواية «الأفق المفقود» ليست رواية مغامرات، لكن مما ساعد على نشأة عنصر التشويق، هو بخل المؤلف فى تقديم معلومات عن أسرار معبد «شانجرى - لا»، الذى اختطفت إليه المجموعة والذى يقع وسط مجموعة جبال التبت. وكهنة هذا المعبد يؤمنون بفلسفة تجمع بين المسيحية التى عرفها وادى القمر الأزرق الذى يشرف المعبد عليه من فوق جبل كاركال، منذ القرن الثامن عشر على يد قسيس يدعى برلوت، وبين البوذية التى كانت موجودة قبل ذلك. وشعار هذه المجموعه يمكن تلخيصه فى انهم يؤمنون بالوسطية فى كل شئ.

ويقدم لنا هيلتون رؤيته من خلال مادار من حوارات بين كونواى وبين اللاما الأكبر حول الحياة فى الوادى وفى معبد «شانجرى - لا»، ذلك المكان الهادئ المنعزل عن العالم الخارجى بما فيه من سلبيات. والمكان يتصف بالسحر والهدوء ويؤجج فى النفس مشاعر وجدانية عالية لا تستطيع أى فلسفة غربية أن تحققها. فالفرق بين العالم الخارجى ووادى القمر الأزرق الذى يرصده هيلتون رغم شدة تناقضه، يتركز فى أن اسوأ شئ فى العالم هو الحرب، بل أن هيلتون يتنبأ بحرب قادمه شاملة تكتسح العالم كله هذا ما حدث بالفعل.

«المترجم»

مقـــدمـــة

كنت أنا، ورثرفورد، ووايلاند أصدقاء منذ أيام الدراسة، لكننا لم نر بعضنا منذ عدة سنوات. وحقيقة لم أكن أعرف عنهما إلا القليل جداً، فيما عدا أن رثرفورد كان يؤلف كتبا، ووايلاند يعمل فى السفارة البريطانية هنا فى برلين. وحدث أن دعانا وايلاند العشاء فى مطار تمبلهوف، وكانت أمسية لطيفة حقا، اذا إستمتعنا بمشاهدة الطائرات وهى تهبط أرض المطار قادمة من كل أنحاء أوربا.

كانت إحدى هذه الطائرات إنجليزية، وإتجه قائدها الذى كان لايزال يرتدى ملابس الطيارين نحو مائدتنا وقام بتحيته وايلاند، الذى لم يتعرف عليه لحظتها. عندما تعرف عليه قدمنا إليه، ودعاه للإنضمام إلى مائدتنا.

كان شاباً لطيفاً مرحاً يدعى ساندرز. وإعتذر له وايلاند لعدم تعرفه عليه بسبب ملابس الطيران. فضحك ساندرز وقال «آوه، أنا

أعرف أنها مسألة صعبة. كلنا نشبه بعضنا فى هذه الملابس، ولا تنسى أننى كنت فى باسكال».

ضحك وايلاند، لكنه لم يعر الجملة الأخيرة أهمية كبيرة، وسرعان ما تحدث فى موضوع آخر. بعد ذلك تركنا للحظات ليتحدث مع شخص ما على مائدة أخرى، فإلتفت رثرفورد إلى ساندرز، وقال: «لقد جاء ذكر باسكال على لسانك توا. أنا أعرف المكان معرفة بسيطة. لكن ما الذى كنت تقصده عندما قلت، لاتنسى اننى كنت فى باسكال؟»

أجاب ساندرز: «آه، إنه حادث مثير وقع لنا، عندما كنت أعمل فى السلاح الجوى، سرق أحد الأشخاص طائرة من طائراتنا. وغضبت السلطات غضباً شديداً، كما لك أن تتخيل، قام ذلك الشخص بضرب الطيار على رأسه، وإرتدى ملابسه، وصعد إلى مقصورة القياده دون أن يكتشفه أحد، وأدى كل الإشارات المتعارف عليها قبل الإقلاع لبرج المراقبة، ثم طار بكفاءة عالية جداً. وكانت المشكلة فى أنه لم يعد على الاطلاق».

تطلع إليه رثرفورد بإهتمام وسأله: «متى حدث ذلك؟».

ـ «حدث ذلك منذ أربع سنوات فى مايو عام ١٩٣١ ـ حيث كنا ننقل المدنيين من باسكال إلى بيشاور، نظراً لحالة الاضطراب وعدم الإستقرار التى كانت سائدة فى المنطقة. ربما تذكر القتال الذى كان دائراً هناك؟»

سـأله رثرفـورد بنفس الاهتـمـام: «أعـتـقـد أنه فى مـثل هذه الظروف، لابد أن يكون هناك أكثر من فرد مسئولاً عن الطائرة؟».

أجاب ساندرز: «نحن نفعل ذلك بالنسبة لكل الطائرات العادية، لكن هذه الطائرة، كانت طائرة خاصة صنعت لأحد المهراجات الهنود».

- «وأنت تقول إن الطائرة لم تصل إلى بيشاور على الاطلاق!».

- «لم تصل فعلاً إلى بيشاور، أو إلى أى مكان آخر؛ وهذا هو الشئ الغريب فى الأمر. أعتقد أن ركابها قتلوا جميعاً. فهناك أماكن عديدة فى هذه الجبال، من الممكن أن تصطدم بها الطائرات، ولا يوجد لها أثر فيما بعد».

- «هذا صحيح فأنا أعرف طبيعة هذه المنطقة. كم كان عدد ركابها؟»

- «أربعة على ما أعتقد، ثلاثة رجال وإمرأة».

سأله رثرفورد: «بالمناسبة، هل كان من بينهم رجل يدعى كونواى؟»

بدت الدهشة على ساندرز، وقال: « هيه، نعم... هل تعرفه؟»

قال رثرفورد: «كنت أنا وهو فى نفس المدرسة». وصمت لفترة

مفكراً بعمق، ثم قال: «لم ينشر شئ عن هذا الحادث فى الصحف، أليس كذلك؟ ما السبب لذلك؟»

فجأة بدا عدم الإرتياح على ساندرز، وقال: «فى الحقيقة... يبدو اننى أخبرتك بمعلومات أكثر مما ينبغى. لقد تم تكتم الأمر، أتفهمنى.. نظراً لطريقة التى تم بها. فقد كانت شيئا مخزياً ومشيناً ان يكون بإمكان أى فرد سرقة طائرة من طائراتنا، هكذا بمنتهى السهولة. ولذا فقد أدلى المسئولون الحكوميون بمجرد تصريح، يفيد بأن هناك طائرة ضلت طريقها، وذكروا أسماء المفقودين».

- فى تلك اللحظة عاد وايلاند، فإلتفت إليه ساندرز، وقال: «لقد إكتشفت ان زملاءك يعرفون كونواى. كنا نتكلم عن حادث باسكال».

التفت وايلاند لرثرفورد وقال: «لا تذكر أى شئ عن هذا الموضوع لأى أحد. نحن لسنا فخورين بهذه الحكاية. هل كنت تعرف كونواى جيداً... منذ أيام الدراسه»؟

أجاب رثرفورد: «عرفته أثناء دراستنا بجامعة أوكسفورد كذلك، وقابلته عدة مرات منذ ذلك الوقت. لكن هل تعرفه وانت معرفه جيدة؟»

قال وايلاند: «كلا، معرفة بسيطة، فقد قابلته مرة أو مرتين فقط، لكنى أعتقد أنه ماهر وذكى جداً».

إبتسم رثرفورد، وقال: «بالتأكيد، فهو يجمع بين المهارة والذكاء. كما كان يحصد كل الجوائز في الجامعة، كما كان واحداً من أمهر عازفي البيانو الذين سمعتهم. لكنه كان يتسم بمسحة حالمة: ولم أتصور ابداً أن تكون لديه أى طموحات أو رغبة فى الشهرة. لكن ماذا حدث له بعد سنوات الدراسة فى اكسفورد؟»

أجاب وايلاندا: «شارك فى الحرب العالمية الأولى. وجرح على ما أعتقد، لكن لم تكن إصابته خطيرة. وسافر بعد الحرب إلى الشرق الأقصى، فقد كان يعرف العديد من اللغات ومن بينها الصينية».

بعد مضى فترة من الوقت نهض رثرفور لينصرف، كان الوقت قد تأخر فقلت ينبغى أن أنصرف أنا أيضاً. فقد كان ينبغى على أن ألحق بقطار الصباح الباكر، فسألنى رثرفورد عما إذا كنت أود أن أقضى معه بعض الوقت بالفندق الذى يقيم فيه، حيث يمكننا التحدث عن كونواى. فهو موضوع شيق.

ركبنا سيارة أجرة وانطلقنا عبر عدة شوارع فى صمت، بعد ذلك قال: «شئ غريب جداً، أن نسمع ساندرز يقص تلك الحكاية عن حادث باسكال، هل تعلم، أننى سمعتها من قبل، لكننى لم أصدقها بالفعل. حكاية غريبة جداً، لم أجد مبرراً لتصديقها على الإطلاق».

لم يقل شيئا أكثر من ذلك حتى وصلنا إلى الفندق، واسترحنا فى غـرفتـه. ثم فاجـأنى بقوله: «لقـد سافرت مع كـونواى من سنغافورة إلى هونولولو، على سطح سفينة يابانية فى نوفمبر الماضى».

ـ «نوفمبر؟» قلت ذلك، لأن الطائرة سرقت من باسكال فى مايو.

فاكد رثرفورد قائلاً: «أجل نوفمبر، فقد كنت ازور صديقاً فى هانكو وكنت عـائداً بقطار بكين السريع. وفى القطار دار حـديث لطيف بينى وبين راهبة فرنسية مشرفة على أحد الأديرة الفرنسية، كانت مسافرة إلى تشانج ـ كيانج، حيث مقر الدير. تحدثت عن مستشفاها الصغير فى تشانج ـ كيانج. وجاء ذكر رجل أحضر إلى المستشفى مصاباً بالحمى، منذ عدة أسابيع. قالت أنه اوربى، رغم أنه لم يستطع أن يذكر أى شئ عن نفسه، كما أنه لم يكن يحمل أى أوراق تدل على شخصيته كان يتكلم الصينية بطلاقة مثلها مثل الفرنسية. بالإضافة إلى أنه تحدث معهم بالانجليزية قبل أن يعرف أنهم فرنسيون. كان فى حالة سيئة جداً ويبدو عليه أنه فاقد للذاكرة.

«عندما وصل القطار إلى تشانج ـ كيانج، ودعتنى الراهبة بكل رقة، ودعتنى لزيارة الدير، لو حدث وكنت بالمنطقة. وبدا ذلك

بالطبع أمراً بعيد الإحتمال فى ذلك الوقت، لكن الذى حدث بالفعل، أننى عدت إلى تشانج - كيانج بعد عدة ساعات. فقد تعطل القطار بعد عدة أميال، وبصعوبة بالغة أعادونا إلى المحطة. حيث عرفنا أنه لا يوجد إحتمال لوصول قاطرة أخرى إلا بعد إثنتى عشرة ساعة. وهكذا كان امامى نصف يوم أقضيه فى تشانج - كيانج، فقررت زيارة الدير.

«ما إن وصلت حتى أستقبلت بود وترحاب شديد. تناولت الطعام مع أسرة الدير وبعد ذلك إصطحبنى طبيب صينى شاب والراهبة لزيارة المستشفى، التى كانوا فخورين بها. كان المكان نظيفاً جداً ومنظماً جداً كنت قد نسيت كل شئ عن ذلك المريض الغامض الذى يتكلم الإنجليزية، حتى ذكرتنى الأم الراهبة به عندما كنا نقترب من سريره وإقترحت على أن أحادثه بالانجليزية، فقلت: «مساء الخير»، تطلع الرجل إلى فجأة وقال: «مساء الخير». كان يتكلم بلهجة انجليزى متعلم، ولم تكن هناك فرصة لأفاجأ بذلك، لأننى تعرفت عليه بالفعل. لقد كان كونواى. ناديته باسمه، وقلت له إسمى. لكنه تطلع إلى دون أن تبدو عليه أى بادرة للتعرف على، لكننى كنت متأكداً بأننى لم أخطئ. وفوجئ الطبيب والراهبة بطبيعة الحال، عندما أخبرتهما بأننى أعرف ذلك الرجل، ودار بيننا نقاش طويل حوله. ولم نصل إلى رأى حول كيفية وصوله إلى تشانج - كيانج بمثل هذه الحالة.

«بقيت فى تشانج ـ كيانج مدة اسبوعين، على أمل أن أستطيع مساعدته فى تذكر بعض الأشياء. لكننى لم أنجح. لكن صحته تحسنت كثيراً وتحدثنا طويلاً. كنت أقول له من هو، لكنه لم يكن يناقشنى فى ذلك؛ وعندما إقترحت عليه أن أعود به إلى انجلترا، وافق بكل هدوء.

«وهكذا غادرنا الصين سويا. أبحرنا عبر نهر اليانج ـ تسى إلى نانكنج، ثم سافرنا بالقطار إلى شنغهاى. كانت هناك سفينة على وشك الرحيل إلى أمريكا فى نفس الليلة، ونجحنا فى اللحاق بها».

توقف رثرفورد عن الكلام وسرح بفكره قليلاً، ثم واصل كلامه: «وقمنا بكل جهدنا لمعالجة صديقنا العزيز على ظهر السفينة. قلت له كل شئ أعرفه عنه، وكان يصغى إلى باهتمام شديد. والشئ المدهش حقا أنه لم ينس اللغات. قال لى إنه يعرف أنه كان ينبغى عليه أن يقوم بمهمة تتعلق بالهند، لأنه يستطيع أن يتكلم الهندوستانية.

«فى ميناء يوكوهاما، صعد مزيد من المسافرين إلى سطح السفينة وكان من بينهم سييف كنج، عازف البيانو الشهير، وذات ليلة أقنعوه بالعزف على البيانو، وذهبت أنا وكونواى لسماعه. وبطبيعة الحال، عرف بطريقة رائعة. تطلعت إلى كونواى أكثر من مرة، فوجدته مستمتعاً للغاية، وتذكرت كم كان كونواى عازفاً

متميزا، أيام دراستنا فى أوكسفورد. وأخيراً إنتهى سييف كنج من العـزف وتحـرك تجـاه البـاب، عندئذ حـدث شئ غـريب، جلس كونواى إلى البيانو، وعزف قطعة موسيقية لا أعرفها. فإستدار سييف كنج بإضطراب شديد، ليسأل كونواى عن إسمهـا، فقـال كونواى بعد فترة صمت غريبة، إنها متتالية لشوبان. فقال سييف كنج: «أنا أعرف كل شئ، يازميلى العزيز، عن أعمال شوبان. وأنا متـأكد تماماً أنه لم يكتب هذه المقطوعة التى عـزفتـها الآن. من المحتمل أن يكون كتبهـا، لأنهـا تشبـه أعمالـه، كلا لم يكتبها، أنا أتحـداك، إذا أريتنى هذه المقطوعة فى أى مـجمـوعـة من أعمـالـه الموسيقية».

بدا كـونواى حـائرا لكنه أجـاب أخـيراً: «آه، لقد تذكـرت الآن - هذه المقطوعـة لم تنشر ابدا. أنا فـقـط عـرفت هذه المقطوعـة لأننى قابلت شخصا مـا، كان تلميذا لشوبان... ولدى مقطوعة أخرى لم تنشر تعلمتها منه».

تطلع إلى رثرفورد باهتمام شديد ثم واصل كلامه: «أنا لا أدرى مدى اهتمامك بالموسيقى، لكننى أعتقد أنك قادر على تخيل حالة سييف كنج المضطربه، بينمـا كان كونواى يواصل عـزفه وسوف تكتشف أى مشكلة محيرة تلك التى تعرضنا لها، عندما أذكرك بأن شوبان توفى عام ١٨٤٩ .

«كان تبرير كونواى لموقفه، بأنه قابل تلميذ شوبان، يبدو مستحيلاً تماما، لكن الموسيقى نفسها تؤكد أنها لشوبان. أخبرنى سييف كنج بأن هاتين المقطوعتين لو كانا قد نشرا، فلن يشك أحد أبداً بأنهما لشوبان.

«فى هذه الأثناء بدأ كونواى يشعر بالإجهاد الشديد، فأخذته إلى الفراش. فى تلك الليلة عادت إليه ذاكرته. كنا قد آوينا إلى فراشنا، لكنى كنت أرقد متيقظا، فجاء إلى وأخبرنى بذلك. كان وجهه متغيراً، وترتسم عليه ملامح حزن شديد. قال إن باستطاعته الآن تذكر كل شئ. لقد بدأت ذاكرته تعود إليه أثناء عزف سييف كنج. جلس على حافة سريرى لفترة طويلة، وتركته يروى على حكايته بالطريقة التى تحلو له، دون أن أسأله أى سؤال فى البداية. بعد فترة ارتدينا ملابسنا، وبدأنا نتمشى ذهابا وإياباً على ظهر السفينة. أخذ يتكلم ويتكلم، ولم ينته من حكايته إلا قبيل الظهر بقليل. كان مهموماً جداً، ولم تكن لديه القدرة على النوم. لذا أخذنا نتكلم بلا انقطاع. فى حوالى منتصف الليلة التالية، كانت السفينة على وشك الوصول إلى هونولولو. بقى معى طوال ذلك اليوم، ولم يفارقنى إلا فى فى الساعة العاشرة مساء، ولم أره ثانية أبداً.

ـ قلت وفى ذهنى مياه البحر العميقة الداكنه على جانبى السفينه:

«هل تعنى أنه ...؟»

ضحك رثرفورد: «كلا، كلا ـ لم يقتل نفسه. لقد فر بعيداً!. عندما وصلت السفينة إلى هونولولو! اختفى ولم استطع العثور عليه فى أى مكان. بعد ذلك علمت أنه انضم إلى بحارة سفينة متجهة إلى فيچى».

سألت: «كيف عرفت ذلك؟».

ـ «كتب لى من بانجوك بعد مضى ثلاثة أشهر، ومع الرسالة شيك مقابل ما قمت بانفاقه عليه، وذكر فى رسالته أنه يقوم برحلة إلى الشمال الغربى. هذا كل شئ.

«شغفت جداً بقصة هذا الرجل. وكنت قد سجلت بعض ما دار بيننا من حوار على ظهر السفينة، وقررت أن أصوغها فى شكل مناسب». إتجه ناحية حقيبته وأخرج رزمة من الورق مطبوعة على الآلة الكاتبة. «ها هى. دعنى أعرف رأيك فى القصة».

تناولت النسخة وقرأتها فى القطار المتجه إلى أوستند.

الفصل الأول

خلال الأسبوع الثالث من شهر مايو، أصبح القتال فى باسكال أكثر شراسة، وفى اليوم العشرين وصلت طائرات لنقل الأوربيين إلى بيشاور. كان معظمهم ينقلون عبر خط جوى يمر فوق الجبال فى طائرات حربية كبيرة، لكن كان هناك طائرات صغيرة تستخدم أيضاً، من ضمنها طائرة معارة من مهراجا كاندبور، سافر على هذه الطائرة أربعة أشخاص: الآنسة روبرتا برنكلو؛ وهنرى دى بارنارد وهو مواطن أمريكى؛ وهوف كونواى، مستشار بريطانى؛ والكابتن تشالز مالينسون، نائب مستشار بريطانى.

كان كونواى فى السابعة والثلاثين من عمره. قضى فى باسكال سنتين، والآن، بعد أجازة لمدة عدة شهور قضاها فى إنجلترا، كان لابد أن يُرسل إلى مكان آخر. كان طويلاً أكسبته الشمس لوناً بنيا، وشعره بنى قصير، وعيناه مزيج من الرمادى



أربعة من الركاب بينهم امرأة

والأزرق. وبدت عيناه مجهدتان للغاية، فقد كان يعمل طوال الأربع والعشرين ساعة الماضية، وكان راضياً برحيله من هذه المنطقة. أراح ظهره على مقعده وأغلق عينيه أثناء إقلاع الطائرة، وهو يشعر بسعادة لكونه لم يسافر على إحدى تلك الطائرات الحربية المزدحمة.

بعد طيران لفترة تزيد على الساعة، قال مالينسون فجأة انه يعتقد أن الطيار لايسير فى الاتجاه الصحيح. كان مالينسون يجلس أمام كونواى، وهو شاب فى منتصف العشرينيات، وتحدث إلى كونواى أثناء الطيران مرة أو مرتين، ولما لم تكن لدى كونواى رغبة فى الكلام ففتح عينيه بالكاد وأجاب بأنه ممالاشك فيه أن الطيار يعرف ماذا يفعل.

بعد مضى نصف ساعة أخرى، تكلم مالينسون ثانية، وقال: «إسمع، ياكونواى، كنت أظن إن «فنّر» هو الذى يقود الطائرة؟

قال كونواى وهو يغالب النعاس: «وماذا إذا لم يكن هو؟»

ـ «لقد إلتفت الطيار الآن، وأنا متأكد أنه ليس «فنّر».

ـ «لابأس، إذن لابد أن يكون شخصاً آخر: أنا لا أرى مشكلة فى ذلك».

ـ «لكن، من هذا الطيار؟».

قال كونواي: «كيف يتسنى لي أن أعرف، ياعزيزي؟ هل تفترض أنني أستطيع تذكر وجه كل شخص في السلاح الجوي؟

فقال مالينسون باصرار: «أنا أعرف معظمهم، لكنني لا أعرف هذا الشخص».

- «ربما يكون من ضمن الأشخاص القلائل الذين لا تعرفهم».

ثم إبتسم كونواي وقال: «عندما نصل إلى بيشاور يمكنك أن تسأله».

- « بهذا الوضع، لن نصل مطلقا إلى بيشاور. أنا متأكد من أن الرجل ضل طريقه».

في هذه اللحظة، بدأت الطائرة في الهبوط.

صرخ مالينسون وهو يتطلع من خلال النافذة: «ياإلهي! أنظر إلى أسفل!»

تطلع كونواي. كان المشهد بالتأكيد على غير ما يتوقع. فبدلاً من أن يرى صفوفاً أنيقة من البيوت. لم يكن هناك شئ يمكن رؤيته سوى صحراء قاحلة أحرقتها الشمس، مليئة بالصخور، وجبال جرداء على بعد. لم تكن المنطقة تشبه أرض بيشاور بأي حال من الأحوال.

قال كونواي لمالينسون بهدوء: «أنا لا أعرف هذه المنطقة. يبدو أنك على صواب. لابد أن الرجل ضل طريقه».

كانت الطائرة فى طريقها إلى الهبوط بسرعة شديدة، وبدأ الهواء يزداد سخونة. بدأ المحرك يصدر فرقعات، وأخذت الطائرة ترتج، وتشبث الركاب الأربعة بمقاعدهم.

صاح الأمريكى: «يبدو كما لو أنه يريد الهبوط!»

أجاب مالينسون: «لايستطيع. يكون مجنوناً لو حاول. فسوف يرتطم بالأرض وبعدها...»

لكن الطيار هبط فعلا. إستطاع بمهارة الهبوط بالطائرة فى مكان فسيح مستوى بجوار الوادى الصغير. وعلى الفور تجمع عدد من رجال القبائل الملتحين ذوى أربطة الرأس، وأحاطوا بالطائرة من جميع الاتجاهات ومنعوا الجميع من النزول، فيما عدا الطيار نزل الطيار وبدأ يتكلم معهم بحماس، وسرعان ما تحقق كونواى بأن الرجل ليس «فنِّر».

لم يكن انجليزياً على الإطلاق، ولا يمكن أن يكون أوربياً. فى هذه الأثناء أحضر الرجال صفائح الوقود وأخذوا يفرغونها فى خزانات الطائرة. ولم يهتم أحد بصيحات المسافرين الأربعة المحتجزين.

وعندما تم ملء خزانات الوقود، دفعوا إلينا بعلبة صفيح بها ماء من أحد النوافذ. لم تكن هناك إجابات على أى أسئلة. بالاضافة إلى أن هؤلاء القبليين لم يبدوا أى نوع من الود. بعد ذلك، صعد



وجاء بعض رجال القبائل

الطيار إلى مقصورة القيادة وأقلع على الفور.. ارتفعت الطائرة عالية فى السماء، ثم إتجهت إلى الشرق. كان الوقت منتصف النهار.

أمكننا معرفة إتجاه الطائرة من خلال الشمس؛ كان الاتجاه شرقاً طول الوقت، مع إنحراف من وقت لآخر تجاه الشمال؛ لم يستطع أن يعرف إلى أين هم متجهون أغلق عينيه، لكنه لم ينم، إذ كان يفكر فى مشكلتهم، فقد كانوا جميعا فى موقف مخيف تماماً، وشعر بالقلق تجاه المرأة المسافرة معهم بصفة خاصة بدا من الواضح تماماً أنهم إختطفوا مقابل فدية. لقد تم تخطيط الأمر كله بعناية شديدة، ومن المحتمل ان يعاملوا بشكل جيد؛ وفى نفس الوقت من الممكن أن يتعرضوا لمعاملة سيئة جداً قبل أن تصل نقود الفدية.

شعر أيضا بأن رفاقة من الممكن أن تكون لديهم مشاكل شخصية عديدة تثير قلقهم. فما لينسون بصفة خاصة بدا عليه الإضطراب والقلق. وبمرور الوقت، أصبح الرجل أكثر وأكثر قلقا، وبدا وكأنه يضيق بهدوء كونواى.

وأخيرا خرج قائلا: «إسمع، أينبغى علينا أن مجلس هكذا لا نفعل شيئاً فى حين يأخذنا هذا المجنون إلى حيث يريد الذهاب؟ لماذا لا نكسر الزجاج ونأسره ؟».

قال كونواى: «إن معه سلاحاً، ونحن عزل، وليس فينا أحد يعرف كيف يهبط بالطائرة إلى الأرض بعد ذلك».

ـ «لن يكون الأمر صعباً إلى هذا الحد. أنا متأكد أنك تستطيع فعل ذلك».

قال كونواى وقد بدأ يشعر بالضيق من هذا الشاب: «ياعزيزى مالينسون، لماذا تتوقع منى دائما أن أقوم بمثل هذه الأعاجيب؟».

قال مالينسون وهو يزداد توتراً: «لكن، ألا نستطيع بأى وسيلة، أن نجبر ذلك الرجل على الهبوط؟»

أجاب كونواى ببرود: «وكيف ترى أن نقوم بفعل ذلك؟»

ـ «حسن، أنه يجلس فى مقصورة القيادة، أليس كذلك؟ أينبغى علينا أن نجلس ونتطلع إلى ظهره طوال الوقت؟. نجبره على الأقل ليقول لنا ما هو غرضه؟»

قال كونواى: «لابأس سوف نرى؟»

كانت هناك نافذة زجاجية تفصل بين مقصورة القيادة وباقى الطائرة، يمكن للطيار أن يتحدث من خلالها إلى المسافرين. تقدم كونواى ناحية النافذة ودق زجاجها. كان رد الفعل بالضبط كما توقع. إلتفت الرجل وصوب سلاحه مباشرة ناحية كونواى، ولم ينطق بكلمة، فعاد كونواى إلى مقعده دون نقاش.

بعد ما رأى مالينسون ما حدث، أدرك الموقف، لكنه قال: «أنا لا أعتقد أنه كان سيجزؤ على إطلاق الرصاص»

وافقه كونواى، وقال: «بالطبع، لا. لكننى تركتك لتتأكد بنفسك».

قدم سيجارة لمالينسون وقال برقة: «أنا أدرك ما تشعر به، لكننا فى الواقع لا تستطيع أن تفعل شيئاً فى هذه اللحظة».

لم يكن هناك أى شئ آخر يمكن فعله، لذا فقد أراح ظهره على مقعده وإستغرق فى النوم. عندما إستيقظ من النوم، لاحظ أن الآخرين مستغرقين فى النوم أيضا. إلتفت ناحية النافذة وتطلع من خلالها. كانت السماء صافية لحظتها، وفى ضياء بعد الظهر رأى مشهداً، حبست له أنفاسه من فرط جماله. فعلى مرمى البصر كان خط من الثلج يغطى قمم الجبال، وبدا كأنه يسبح فى السحاب. هذه القمم التى كانت أشبه بحائط أبيض، بدت وكأنها جزء من السماء، حتى لامسته أشعة الشمس فحولته إلى شعلة متوهجة براقة.

جلس كونواى هادئا، يحاول أن يخمن أين هم. أخذ يسترجع الخرائط فى ذهنه، ويحسب المسافات والوقت والسرعة. ثم إكتشف أن الاخرين قد استيقظوا، وكانوا ينظرون إليه فى ترقب.

الفصـــــل الثـانى

أشار كونواى من خلال النافذة إلى حائط الجبال المشعة، فتأمله الآخرون للحظة طويلة في صمت ودهشة. وأخيرا إلتفت بارنارد الأمريكى إلى كونواى، وسأله عما إذا كان يعرف أين هم.

أجاب كونواى: «أعتقد أننا مازلنا فى الهند». وعلل ذلك بأنهم طاروا تجاه الشرق لعدة ساعات. كانوا يطيرون على إرتفاع شاهق جدا، يسمح لهم بفرصة أشمل للرؤية، وربما كانوا يتابعون مجرى نهر ما بالوادى. فقال كونواى: «ربما كان ذلك نهر إندس الأعلى».

سأله بارنارد: «إذن فهل تعرف أين نحن؟»

أجاب كونواى، وهو يشير من خلال النافذة: «كلا فلم يحدث أن جئت إلى أى مكان هنا من قبل. لكن لن أدهش، لو أن هذا الجبل، هو جبل «نانجا باريات»».

قال بارنارد: «يبدو لى كما لو أننا نتجه مباشرة نحو سلسلة الجبال تلك. هل تعرفها؟».

قال كونواى: «ربما تكون جبال كاراكورامس. وهناك عدة طرق للوصول إليها إذا كان رجلنا يريد الذهاب إلى هناك».

قال مالينسون: «رجلنا؟ تقصد رجلنا المجنون! فهل هناك من يطير فوق منطقة مثل هذه سوى رجل مجنون؟

فقال بارنارد: «لا أحد يستطيع القيام بذلك سوى الطيارين المهرة. فهذه الجبال على ما أعتقد، أعلى جبال فى العالم».

قال كونواى: «أجل ـ ولابد أن تعترف أن الأمر كان مدبراً بجنون منظم يامالينسون».

أحس كونواى بعد ذلك أنه لايريد مواصلة النقاش. فالموقف كله كان خطيرا، بلاشك، ولا جدوى من مناقشة أى شئ فى هذه اللحظة. فليس بإمكانهم فعل أى شئ على الإطلاق.

إلتفت ثانية وتطلع من خلال النافذة. كانت الشمس تغرب الآن، وقمم الجبال تكسوها أشعة قرمزية داكنة منبعثة من الوديان. وفجأة أصبح الفضاء كله شاحبا مشوباً بسنا طلوع القمر كاملا. ولامس ضياؤه قمم الجبال، وكأنه مصباح إلهى، حتى أصبح الأفق البعيد بلون الفضه، على خلفية السماء الزرقاء الداكنة وبدأ الجو يبرد والريح تشتد والطائرة تهتز بعنف أضفى ذلك عبئا على

المسافرين، علاوة على ما يعتريهم من يأس، لكن كونواى كان متأكدا بأن الطائرة لابد أن تهبط خلال فترة قصيرة، لأن الوقود لن يبقى إلى الأبد.

فجأة إلتفتت الآنسة برنكلو وأخذت تتكلم مع كونواى. قالت بصوت عال بسبب ضوضاء الطائرة: «هل تعلم، أن هذه أول رحلة طيران لى! ذات مرة، حاول صديق لى أن يقنعنى بالسفر جواً من لندن إلى باريس، لكننى رفضت».

فقال بارنارد: «والآن تطيرين من الهند إلى التبت بدلاً من ذلك».

فإبتسمت الآنسة برنكلو وهزت رأسها بمرح.

بدأ كونواى يفكر بأن روح الآنسة برنكلو المرحة وقناعتها الهادئة بالوضع الذى هى فيه، ربما يكون له فائدة فى المستقبل. ابتسم لها مشجعا، ثم أغلق عينيه ثانية وراح فى سبات نوم هادى مطمئن.

واصلت الطائرة طيرانها.

فجأة! استيقظ الجميع على صوت ارتجاج عنيف للطائرة. إرتطمت رأس كونواى بالنافذة، وفى لحظة وجد نفسه ممدداً بين صفين من المقاعد، بينما كانت الطائرة تميل على الجانب الآخر. إمتلأت أذناه بأصوات غريبة بعد ان تأكد أن محرك الطائرة قد

توقف وأن الطائرة تقاوم تيار هواء شديداً تطلع من النافذة، ورأى الأرض قريبة جدا منهم.

صاح مالينسون: «إنه يهبط! »فقال بارنارد الذى سقط من فوق مقعده أيضا: «لو أنه محظوظ!» أما الآنسه برنكلو فقد كانت أقلهم إنزعاجاً، وأخذت تثبت قبعتها على رأسها بشكل مستقيم وبهدوء كما لو أن ميناء دوڤر قد أصبحت على مرمى البصر القريب.

فى هذه اللحظة لامست الطائرة الأرض، لكنه كان هبوطاً سيئاً قذف الركاب من جانب إلى جانب، وسمع صوت إرتطام وتحطم، وانفجار أحد الاطارات.

جذب مالينسون باب الطائرة وفتحه وإستعد للقفز إلى الأرض.

صاح كونواى: «خذ بالك! »لكن مالينسون رد عليه قائلا: «ليس هناك حاجة للحذر فهذا يبدو أشبه بنهاية العالم إذ لايوجد أى مخلوق على الأرض».

بعد لحظات تيقن الجميع حقيقة الموقف. إنتابتهم رجفة بسيطة بسبب البرد والصدمة ونزلوا من الطائرة، فوجدوا أنفسهم وسط منطقة جرداء فسيحة إكتسحتها رياح شديدة. كان القمر مختفيا خلف السحاب، لكن الجبال على مدى الأفق البعيد بدت تحت ضوء النجوم مثل صف أسنان كلب.

إتجه مالينسون نحو مقدمة الطائرة وصعد إلى مقصورة القيادة

بعد عدة لحظات، نزل ثانية وقبض على ذراع كونواى، وقال فى صوت خفيض: «شئ غريب ياكونواى... أعتقد أن صاحبنا مات أو شئ من هذا القبيل. هيا، اصعد وألق نظرة».

صعد كونواى بصعوبة وألقى نظرة على مقصورة القيادة كان الطيار منكفئاً إلى الأمام شاحب اللون بلا حراك، ويداه على رأسه. هزه كونواى،. وفك ملابسه من حول رقبته. ثم إلتفت إليهم، وقال: «لقد أصيب بشدة. لابد أن تخرجه».

إستطاع كونواى بمساعدة مالينسون وبارنارد أن يرفعوا الطيار من فوق مقعده وينزلوه إلى الأرض. كان مغمى عليه، لكنه لم يمت. قال كونواى وهو ينحنى فوق صدره: «من المحتمل أن يكون قد أصيب بنوبة قلبية بسبب الإرتفاع الكبير نحن لا يمكن أن نفعل له أى شئ هنا. فليس هناك مأوى من تلك الريح المرعبة. لابد أن نحمله إلى داخل الطائرة».

حملوا الرجل إلى داخل الطائرة وأرقدوه على الأرضية بين المقاعد. بدأ كونواى يفحصه، بينما كان بارنارد يشعل أعداد الثقاب واحداً تلو الآخر لينير له. بعد فترة لاحظ كونواى أن جفون الرجل تتحرك ببطء شديد.

وفجأه بدأ مالينسون فى الضحك بهستيرية وصاح: «شئ غير معقول، فقد كنا نبدو مثل الحمقى ونحن نشعل أعواد الثقاب فوق الجسد الميت. أنه ليس جميلا؟ صيحى على ما أعتقد»

قال كونواى بحدة: «هذا ممكن، لكنه لم يمت بعد. بقليل من

الحظ من الممكن أن يشفى، . وداهمه إحساس بأن الموقف لم يعد خطيراً فحسب، بل ينذر بمحنة طاحنة من الممكن أن تودى بحياتهم جميعا فالطيار هو الشخص الوحيد فقط الذى كان يستطيع أن يقدم لهم كل تفاصيل الموقف؛ فى حين ضمن كونواى أنهم قد تجاوزوا الحدود الغربية لجبال الهملايا نتيجة لطيرانهم لمسافة طويله وأنهم لابد أن يكونوا الآن فوق أعلى منطقة على سطح الأرض ـ هضبة التبت هذه المنطقة المجهولة التى يبلغ ارتفاعها ميلين عن سطح البحر وتكتسح أوديتها المنخفضة رياح ثلجية دائمة عندما تطلع كونواى من النافذة استطاع أن يرى أطراف الوادى الطويل، الذى تحيطه الجبال من كل جانب تقف شامخة مثل الظلال السوداء على صفحة سماء الليل الزرقاء الداكنة وهناك عند رأس الوادى، كان يرتفع عاليا فى الفراغ جبل، من أجمل الجبال على الأرض. لكن رغم جمال الجبل وجلاله، إلا أن طبقة الثلج الرائعة التى تغطيه كانت تزيد من الإحساس بالعزلة والخطر. ولابد أن أقرب تجمعات إنسانية تبعد عن هنا مئات الأميال.

لم يكن لديهم طعام: والطائرة تحطمت؛ وليس لديهم ملابس تقيهم من تلك الريح القاسية. لم يكن هناك أمل سوى الطيار بدأ الرجل يتنفس بشكل أقوى، وأحياناً يتحرك حركة خفيفة. كان ماليتسون على صواب عندما قال إنه صينى. فله نفس الأنف الأفطس والوجنتان البارزتان.

بدأ الليل يرخى سدوله ببطء. وخبا القمر بعد فترة، ولم يعد بإمكانهم رؤية الجبل البعيد. وإزدادت الظلمة والبرد والريح. لكن عند شروق الشمس توقفت الريح فجأة وظهر الجبل ثانية، رماديا فى البداية، ثم فضياً. ثم قرمزيا عندما لامسته بوادر أشعة الشمس. وعندما أصبح الجو دافئاً اقترح كونواى أن يحملوا الطيار إلى خارج الطائرة، فلعل الهواء المنعش الدافئ يساعده ما إن تم ذلك حتى بدأ الجميع يترقبونه على أمل أن يفيق.

أخيراً فتح الرجل عينيه وبدأ يتكلم. فانكفأ المسافرون الأربعة فوقه، لكن لم يفهم أحد منهم شيئا عدا كونواى الذى كان يجيب عليه أحيانا. بعد مضى فتره من الوقت، أصابه وهن شديد وأخذ يتكلم بصعوبة متناهية، وأخيراً مات، كان ذلك حوالى منتصف الصباح.

إلتفت كونواى إلى رفاقه، وقال: «أنا آسف لأقول لكم إنه لم يقل لى إلا القليل قال إننا فى التبت، نفس الشئ الذى توصلنا إليه قبل أن يقول هو ذلك. لم يعط أى تفسير عن السبب فى إحضارنا إلى هنا، لكن يبدو أنه يعرف المنطقة. كان يتكلم بلهجة صينية لم أستطع فهمها جيداً، لكنه ذكر شيئا عن وجود معبد بالقرب من هنا، حيث يمكن أن نحصل على طعام ومأوى وذكر إسم المكان «شانجرى ـ لا». وطلب منى بالحاح أن نتوجه إلى هناك»

قال ماليسون: «هذا «الشانجرى ـ لا»، من المحتمل أن يكون بعيداً جداً عن العمران، كنت سأسعد كثيراً لو أننا قللنا المسافة لازدناها. آه، ياإلهى، أيها الرجل ألا تنوى أن تعيدنا؟»

اجاب كونواى بصبر: «نحن محاطون بمئات الأميال من نوعية هذه المنطقة المنعزلة. ولا أعتقد بوجود أمل كبير فى العودة إلى بيشاور».

قالت الآنسة برنكلو بجديه: «أنا لا أعتقد بأننى أستطيع تحمل ذلك».

وهز بارنارد رأسه موافقاً على كلامها.

قال كونواى: «أعتقد أن فرصتنا الوحيدة تكمن فى العثور على بشر والمكان الذى يمكن أن نجدهم فيه هو المعبد» تطلع إلى أمتدادا لوادى وهو يظلل عينيه بيده ضد الشمس، ثم واصل كلامه: «يبدو أن هناك ممراً بمحاذاة الوادى، ليس شديد الارتفاع، لكننا سنتمكن من عبوره ببطء. ومن الممكن أن يمدنا كهنة المعبد ببعض الحمالين لمساعدتنا فى رحلة العودة. سنكون بحاجة إليهم. أقترح أن نبدأ فوراً».

عارضه ماليسون قائلا: «ومايدريك أننا لن نقتل عندما نصل إلى هناك؟»

أجاب كونواى: «القتل هو آخر شئ يمكن أن نتوقعه فى معبد بوذى وأعتقد أنه من الأفضل أن نخاطر بدلاً أن نموت جوعاً أو نتجمد حتى الموت».

كان ماليسون لايزال غاضبا ومضطربا، لكنه أجاب بهدوء: «لابأس، فلنذهب إلى شانجرى - لا، إذن. لكن دعونا نأمل ألا يكون أبعد من نصف المسافة إلى ذلك الجبل».

إستداروا جميعا وأخذوا يتطلعون ناحية الجبل عند نهاية الوادى، وظلت أبصارهم شاخصة إليه بذهول. فعلى مدى مرمى البصر امكنهم رؤية أشباح رجال تهبط المنحدر.

الفصـــل الثالث

بينمـا كـان هؤلاء الأشـخـاص يقـتـربون، تمكن كـونـواى من عدهم. كانوا إثنى عشر رجلا، إثنان منهم يحملان محفة يجلس عليها رجل يرتدى ملابس زرقاء لم يستطع كونواى أن يعرف إلى أين هم ذاهبـون، لكن من حسن حظهم أن مـروا عليـهم فى هذه اللحظة. إتجه ناحيتهم ببطء وإنحنى باحترام.

ولدهشتـه الشـديدة نزل الرجل ذو الملابس الزرقـاء من على محفته وتقدم إليه، ماداً يده. كان رجلاً صينيا أشيب الشعر. شـد على يد كونواى، ثم قال بإنجليزية رصينة وببطء: «أنـا من معبد شانجرى - لا».

بدأ كـونواى يشـرح له كـيف وصل هو ورفـاقـه إلى هذا المكان المنعزل عن العـالم. تطلع الصينى إلى الطائرة المحطمة، وقـال بأدب: «شيء غريب حقاً». ثم أردف قـائلاً: «إسمى تشانج. هل تتفضل بتقديمى لأصدقائك؟».

سعد كونواى جداً بهذا الرجل الصينى الغريب الذى يتكلم إنجليزية سليمة فى مثل هذا المكان المنعزل الموحش فى التبت. ثم التفت إلى الآخرين وقال :

ـ هذه هى الآنسة برنكلو.. وهذا هو السيد بارنارد، وهو أمريكى.. والسيد مالينسون.. أما أنا فإسمى كونواى. لقد كنا على وشك التوجه إلى معبدكم. فهل تتفضل بأن تدلنا على الطريق؟،

ـ «ليست هناك حاجة لذلك. إذ يسعدنى أن أدلكم على الطريق».

قال كونواى: «هذا كرم كبير منك، سيكون فى ذلك مشقة كبيره بالنسبة لكم، فنحن نستطيع أن نذهب بمعرفتنا».

قال الصينى: «المسألة ليست بمثل هذه البساطة. وأنا أصر على مصاحبتك أنت وأصدقائك».

قدم له كونواى وافر الشكر دون نقاش، فى حين قال مالينسون :

نحن لن نبقى طويلا هناك. سوف ندفع مقابل مانحصل عليه من خدمات، كما نود أن نستأجر بعض رجالكم لمساعدتنا فى رحلة العودة كم تستغرق من الوقت رحلة العودة إلى الهند؟

أجاب تشانج بهدوء: «أنا فى الحقيقة لاأستطيع تحديد ذلك على الإطلاق»

فقال مالينسون غاضبا: «على كل، أرجو ألا نتعرض لمتاعب بخصوص ذلك».

فأجاب تشانج: «أرجو أن تتأكد ياسيد مالينسون، من أنك سوف تعامل معاملة كريمة، ولن تكون نادماً فى النهاية».

قال مالينسون بنبرة مليئة بالريبة: «فى النهاية؟».

فى تلك اللحظة، لحسن الحظ كان الرجال التبتيون يقدمون لهم نبيذاً وفاكهة، من التى أحضروها معهم. وأنهى ذلك المزيد من النقاش.

وبينما كانوا يأكلون، تطلع كونواى إلى الجبل فى نهاية الوادى، فقال له تشانج الذى كان يراقبه: «هل أنت معجب. بجبلنا، ياسيد كونواى؟»

فقال كونواى: «نعم. فهذا مشهد رائع. مااسمه؟»

«يدعى جبل كاراكال.»

ـ «لا أعتقد أننى سمعت عنه أبداً. إنه مرتفع جداً!»

قال تشانج: «ارتفاعه أكثر من ألفين وثمانمائة قدم. والآن إذا كنتم مستعدين، يمكننا أن نبدأ رحلتنا».

وهكذا بدأوا الرحلة إلى تشانجرى ـ لا. طوال فترة الصباح كانوا يصعدون ببطء. لم يكن الممر صاعداً، لكن الارتفاع الهائل جعل

التنفس صعباً. كان تشانج يواصل الرحلة على محفته، وطوال الوقت كان النوم يطغى عليه فجاة، إستمع كونواى إلى حوار دار مابين الرجلين اللذين يحملان المحفة. وفهم منه ـ لأنه يعرف القليل من لغة أهل التبت ـ أن الرجال سعداء جداً لعودتهم إلى المعبد.

بعد مسيرة ميلين أصبح الممر أكثر تصاعداً، والشمس إختفت خلف السحب، والجو أصبح أكثر برودة. بعد ذلك بوقت قصير بدا كما لو أنهم قد وصلوا إلى قمة صعودهم، فتوقف حاملا المحفة للراحة عدة دقائق. إما بارنارد وماليسنون فقد كانا يلهثان وفى منتهى الإجهاد حتى خيل لنا إنهما لن يستطيعا مواصلة المسير، فى حين كان الرجال من أهل التبت متحمسين لمواصلة المسير، وقاموا ببعض الإشارات تفيد بأن باقى الرحلة سيكون أقل تعباً. أخرجوا حبالا وربطوا بعضهم بشكل خاص بتسلق الجبال. وعندما إكتشفوا أن كونواى خبير بفن التسلق، أصبحوا أكثر إحتراماً له، وتركوه يقوم بمهمة ربط مجموعته إلى بعضها بطريقته الخاصة.

ربط نفسه بعد ماليسنون، مع وجود رجل من أهل التبت فى المقدمة وآخر خلفه، ثم بارنارد والآنسة برنكلو، مع مزيد من الرجال خلفهم.

كان الممر منحوتاً على أحد جوانب الجبل الصخرية، ولايزيد عرضه بالكاد عن قدمين فى بعض الأحيان. وبينما هم يهبطون



بأعلى الجبل .. معبد «شنجارى - لا»

إلى أسفل، أصبح الهواء أكثر دفئا. فقال كونواى: «كان من غير الممكن أبداً أن نعرف هذا الممر وحدنا». كان كونواى يقصد بقوله هذا، أن يخلق جواً من البهجة، لكن تعليقه هذا لم يجد صدى إرتياح لدى مالينسون.

فسأل كونواى بغضب: «وماهى خطتنا العملية عندما نصل إلى هناك؟ ماالذى سوف نفعله؟ فسوف نعانى متاعب فظيعة لدى عودتنا من نفس الطريق الذى جئنا منه».

لم يجب كونواى عليه. كانوا فى تلك اللحظة قد وصلوا إلى منطقة أقل إرتفاعاً ومسطحه، وعلى مبعدة قليلة منها يقع معبد شانجرى - لا وحقيقة كان مشهداً غريباً لايصدق. مجموعة من الأبنية الملونة معلقة فى جانب الجبل وكأنها زهور البتاليا الرقيقة؛ نبتت فوق الصخر. وفى خلفية ذلك، جوانب جبل كاركال المغطاة بالثلوج تلمع تحت أشعة الشمس. ومالإن وجه كونواى بصره إلى أسفل حتى رأى قاع الوادى على بعد، وقد بدا أخضر نضراً مبهجاً. كان الوادى محمياً من الريح، لكنه كان معزولاً تماماً عن العالم الخارجى. بينما كان كونواى يتأمل المكان، داهمه شعور مفاجىء بالريبة والقلق». فربما تكون مخاوف مالينسون صحيحة تماماً.

لم يعد يتذكر بالضبط، كيف وصل هو ورفاقه إلى المعبد، بل يذكر دهشته الشديدة حينما إكتشف أن حجراته واسعة ودافئة، ونظيفة جداً. كان تشانج قد ترك محفته، ويقوم الآن بتعريفهم

بالمكان. وأصبح ودوداً للغاية. قال: «لابد أن أعتذر لكم لترككم وشأنكم خلال الطريق، فقد. اكتشفت حقيقة، أن مثل هذه الرحلات مجهدة جداً، وأنا ينبغى على أن أعنى بنفسى. آمل ألا تكونوا مجهدين جداً».

أجاب كونواى بابتسامة لطيفة: «لقد دبرنا أمورنا».

«عظيم! والآن، أرجو أن تتفضلوا معى لأريكم حجراتكم.

فمما لاشك فيه أنتم فى حاجة لاستعمال الحمامات. بعد ذلك يشرفنى جداً لو شاركتمونى العشاء».

أجاب كونواى باحترام، لكن مالينسون أجاب بوقاحة، وقال: «بعد ذلك، إذا كان لايضرك، سوف نقوم بتدبير شئوننا للخروج من هنا أنا أريد مغادرة هذا المكان بأسرع مايمكن».

الفصـــل الـرابـع

أثناء العشاء في تلك الليلة. قال تشانج بإبتسامة: «أعتقد أننا أكثر تحضراً مما كنتم تتوقعون!».

لم يكن لدى كـونواى رغـبـة فى إنكار ذلك. فـقـد كـانت الإستعدادات فى «تشانجرى ـ لا»، على أحسن مايكون، وكما يود، بل كانت حقيقة بأكثر مما يتوقع. إذ كانت تتوفر فى المعبد كل وسائل الراحة الحديثة، من ضمنها حمامات أوربية، من الواضح أنها جلبت من أمريكا رغم بعد المسافة. وفى نفس الوقت، يوجد خدم صينيون يسهرون على راحتك، بأسلوبهم الصينى.

عاش كونواى فى العين مدة عشر سنوات تقريبا، ويعتقد أن هذه السنوات كانت من أسعد سنوات حياته. فقد أحب الصينيين واحب أسلوبهم فى الحياة، كما أحب بصفة خاصة الطعام الصينى، وقد إستمتع جداً بوجبته الأولى فى «شانجرى ـ لا» ولاحظ أثناء

العشاء أن تشانج لم يتناول سوى طبق سلاطة خضراء، ولم يشرب النبيذ.

علل تشانج ذلك بقوله: «أنا آكل القليل جداً. فلابد أن أعتنى بنفسى».

كان ذلك نفس المبرر الذى ذكره من قبل، وتحير كونواى فى شأن مرضه، ولماذا هو فى حاجة إلى رعاية. كان من الصعب تخمين سنه؛ فربما يكون شاباً أصابه الهرم سريعاً، وإما عجوزاً من شأنه الاعتناء بنفسه بصفة دائمة.

بعد الإنتهاء من العشاء، أشعل كونواى سيجارة وقال لتشانج

«أنا لاأتصور أنكم تستقبلون زواراً أجانب هنا؟».

أجاب تشانج باحترام: «نادراً، فى الحقيقة. قليل جداً من الرحالة يأتون إلى هذه المنطقة».

إبتسم كونواى وقال: «أصدق ذلك. فأثناء قدومى إلى هنا، بدا لى المكان ـ كأعزل مكان وقع عليه بصرى، على الإطلاق».

فى تلك اللحظة شاركت الآنسة برنكلو فى النقاش، وطلبت منه يعطيها بعض المعلومات عن المعبد. «كم عدد السكان الذين يعيشون هنا، وإلى أى البلاد ينتمون؟

أجـاب تشـانج: «لدينا هنا خمسون لامـا، وهناك قليليـون آخـرون، مـثلى أنا، لم يصبـحـوا كـهنة بعـد. مـعظمنا من التـبت والصين، لكن هناك عدد من دول عديدة أخرى أيضاً».

سألتـه الآنسـة برنكلو: «هل كبير اللاما من أهل التبت أم صينى؟»

- «كلا»

- «هل يوجد أى مواطنين إنجليز؟»

- «نعم - العديد منهم».

قالت الآنسة برنكلو: «يبدو ذلك غريباً جدا. والآن قل لى، ماهى عقيدتكم؟»

قال كونواى: «هذا سؤال كبير جدا. لكن لابد أن أعترف بأن إجابته تهمنى ، كذلك».

أجاب تشانج بكل هدوء وبطء: «لو أردت أن ألخص ذلك فى كلمات قليلة، فينبغى أن أقول بأننا نعتقد فى الوسطية فى كل شىء فـهناك عـدة آلاف من البـشـر يعـيـشـون فى الوادى تحت رعايتنا؛ نحن نحكمهم بصرامة معتدلة، وفى المقابل نحن قانعون بولائهم المتواضع. نحن لا نتوقع منهم أن يكونوا طيبين تماماً، أو شرفاء تمامـا، لكنهم متوسطى الطيبة والشرف، وكل منهم يشعر بالسعادة والرضا».

أبدى مالينسون بعض الأهتمام بهذا النقاش، لكنه قال:

«كل ذلك جميل، لكننى فى الحقيقة أعتقد أن الوقت قد حان لمناقشة خططنا من أجل الرحيل. نحن نريد العودة إلى الهند بأسرع مايمكن. كم حمالا يمكنك تأجيرهم لنا؟».

خيمت لحظة صمت طويلة قبل أن يجيب تشانج: «لسوء الحظ، ياسيد مالينسون، أنا ليس لى شأن بالحمالين؛ كما أننى أعتقد أن مثل هذا الأمر لايمكن ترتيبه فوراً».

«لكن لابد من عمل شيء ما! ينبغى أن نعود كلنا لأعمالنا، كما أن أصدقاءنا وأقاربنا سوف يقلقون علينا».

لم يرد تشانج.

إنتظر مالينسون برهة، ثم واصل كلامه: «أين يوجد أقرب مكتب تلغراف هنا؟ من أين ترسلون رسائلكم إذا كنتم فى حاجة إلى أى شيء؟» فجأة بدا عليه الخوف، ودفع مقعده إلى الخلف، وهو واقفا. كان وجهه شاحبا، ودعك عينيه بيديه، وقال وهو يتطلع بعصبية فى أنحاء الحجرة: «أنا متعب جدا، أنا لاأحس بأن أحداً منكم يحاول حقيقة مساعدتى. أنا أسأل أسئلة بسيطة. ولابد أنك تعرف إجاباتها. عندما ركبتهم هذه الحمامات الحديثة، كيف أحضر تموها إذن إلى هنا؟

خيمت فترة صمت أخرى.

«لن تخبرني، أليس كذلك؟. جزء من الأسرار، على ما أعتقده كونواى، لابد أن نرحل غداً ـ من الضرورى جداً...»

كان سيتزحلق على الأرض، لكن بارنارد أمسك به وساعده فى الجلوس على الكرسى. **أحس كونواى أنه يستيقظ من حلم غريب.**

وقال: «أظن أننا نشعر بالتعب، ومن الأفضل لنا أن ننهى هذا النقاش ونذهب إلى الفراش. بارنارد، أرجو أن تعتنى بماليسون؟ أنا متأكد أنك فى حاجة إلى النوم أيضاً، يآنسة برنكلو. تصبحون على خير. تصبحون على خير ـ سألحق بكم بعد قليل».

ودفع بهم إلى خارج الحجرة ثم إتجه إلى تشانج.

قال بجدية: «والآن، ياسيدى، سأدخل فى الموضوع مباشرة صديقى متوتر، وأنا لاألومه على ذلك. إنه على صواب تماماً ـ فلابد من ترتيب رحلة عودتنا، ولايمكننا عمل ذلك إلا بمساعدتك. لو كان ليس بإمكانك فعل شىء لنا حقا، فأرجوك أن تدلنا على شخص آخر يمكنه فعل شىء».

أجاب الصينى: «أنت أكثر تعقلاً من أصدقائك، ياسيدى العزيز، ولذلك فأنت صبور. أنا سعيد لذلك. ثم إبتسم وواصل كلامه: «أنا أشك فى أنكم ستجدون بسهولة رجالاً لديهم رغبة فى القيام بهذه الرحلة، فهم مستقرون فى بيوتهم بالوادى، ولايفضلون القيام برحلات طويلة مجهدة إلى العالم الخارجى».

«يمكن إقناعـهم للقيام بذلك، بأى حـال من الأحـوال. فإلى أين كانوا ذاهبين بك هذا الصباح؟»

ـ «هذا الصباح؟ آه، هذا شأن مختلف تماماً».

سأله كونواى: «مختلف فى ماذا؟ ألم تكن تقوم برحلة عندما قابلناك؟

لم تكن هناك إجابة لهذا السؤال، فواصل كونواى كلامه بصـوت أهدأ: «لقد فهمت. لم يكن اللقاء صدفة، لقد ذهبت إلى هناك بقصد لقائنا. وذلك يعنى أنك كنت تعلم بقدومنا. لكن السؤال المهم، كيف عرفت؟».

كـان وجـه الصينى هادئاً وليس عليـه أى تعبيـر، تحت ضوء المصباح.

وقـال بغمـوض: «أنت ذكى جداً، لكنك لست على صـواب تماما.

ولهـذا السبب، لابد أن أنصـحك بعدم القلق. صـدقنى، إنتم لن تتعرضوا لأى خطر فى «شانجرى ـ لا».

قال كونواى بهدوء ـ «نحن لسنا قلقين من أى خطر ـ نحن قلقين من التأخير».

ـ «أنا متأكد من ذلك. بالطبع ربما يكون تأخيراً لايمكن تجنبه لسبب ما ـ خلال ذلك نريد منك أنت وأصدقائك أن تستمتعوا بكل لحظة أثناء وجودكم هنا».

قال كونواى بريبة: «لابأس، إذا كان ذلك لفترة قصيرة فقط... فليس لدى مانع فى ذلك، فعلى الأقل سنكتسب خبرة جديدة، كما إننا فى حاجة إلى شىء من الراحة».

تطلع إلى جبل كاركال المتألق تحت ضوء القمر. فى تلك اللحظة خيل إليه، أنه بإمكانه أن يلمسه بيده؛ فقد كان واضحا جليا فى مقابل السماء الزرقاء الداكنة. ودفعه شىء ماليسأل عن معنى اسم الجبل.

قال تشانج برقه: «بلغة أهل الوادى، كاركال تعنى القمر الأزرق!».

الفصــــل الخامس

فى صباح اليوم التالى، قال مالينسون لكونواى أثناء الأفـطـــار: «هل نجحت فى الحصول على أى وعد من ذلك الصينى، بعد ذهابى للفراش ليلة أمس؟» أجاب كونواى ببطء: «نحن لم نتحدث طويلا، أخشى ألا أحصل منه على وعد قاطع».

فى هذه اللحظة دخل تشانج وسألهم برقة عما إذا كانوا ناموا جيدا شكره كونواى وقال إنه يشعر بتحسن أفضل، أما مالينسون فـقـد. انفـجـر قائلاً: «إسمع، أقـول لك بكل أدب، إننا نرغب فى الرحيل بأسرع مايمكن. أريد بعض الحمالين هذا الصباح؛ إذا لم يكن لديك مانع».

رد الصينى بهدوء: أنا آسف لأقول لك، إن ذلك سيكون بلا جدوى أخشى ألا يكون لدينا رجال لديهم الرغبة فى مصاحبتكم فى رحلة بعيدة عن بيوتهم».

فصاح ماالينسون: «بحق الله، يارجل، هل تتصور إننا سنقبل كلامك هذا كرد نهائى؟».

ـ «أنا آسف جداً، ليس لدى بديل آخر».

فرد كونواى بحدة أكثر: «إسمع، نحن لانستطيع البقاء هنا إطلاقا، كما أننا لانستطيع الرحيل وحدنا. فماذا تقترح؟».

إبتسم تشانج وقال بهدوء: «من حين لآخر نحتاج أشياء معينة من العالم الخارجى، تحضرها لنا جماعات من الحمالين. ومن المتوقع وصول إحدى هذه الجماعات بعد فترة قصيرة، عندما يسلمونا الأشياء، سوف يعودون ثانية. وأعتقد أنكم من الممكن تدبير أمر عودتكم معهم».

سأله ماالينسون: «ومتى يصلون؟».

ـ «من غير الممكن أن أحدد لك تاريخاً محدداً، بالطبع. فقد تحدث مئات الأشياء التى تؤخر وصولهم. ربما يكون بعد شهر من الآن. وفى كل الأحوال لايزيد الأمر عن شهرين». ثم تحرك ناحية الباب وقال: «فى هذه الآثناء، آمل أن تكونوا جميعاً مرتاحين هنا». ثم إنحنى باحترام وخرج من الحجرة.

قضوا مابقى من فترة الصباح فى مناقشة الموضوع. فقد صدمتهم فى الواقع، فكرة قضاء شهرين فى معبد بالتبت. قال

مـاليـنسـون: «هناك شـيء غـريـب فـى هذا الموضـوع، بـه نوع من الغموض. كم أود أن أغادر هذا المكان هذه اللحظة».

أجاب كونواى: «أنا لا ألومك. لكن لسوء الحظ، أنه لاحول لنا ولا قوة فى معالجة هذا الأمر. فإذا كان هؤلاء الناس لايريدون أو لايستيطعون أن يؤجروا لنا بعض الحمالين، فليس أمامنا سوى إنتظار قدوم زملاء آخرين. ولا أظن أن قضاء شهرين هنا، سيكون أسوأ من قضائهما فى أى مكان اخر منعزل عن العالم».

قـال كـونواى ذلك فى مـحاولة لتـخـفـيف الموقف على مالينسون الغاضب، فقد شعر بالأسى من أجله، لقلق والديه عليه فى انجلترا، وكذلك الفتاة التى كان سيتزوجها، وذلك ماجعل الموقف صعبا عليه.

ثم إستطرد قائلا: «أما بالنسبة لى فانا محظوظ، فليس لدى من يقلق على؛ لكن الموقف صعب بالنسبة لمن لهم أصدقاء وأقارب».

قـال بارنارد بطريقته الساخرة المعتادة: «إن قضاء شهرين هنا لن يقتلانى، فلن يقلق على أهلى. فدائماً ماكنت كسولاً جداً فى كتابة الخطابات».

قال كونواى: «لاتنسى أن أسماءنا سوف تنشر فى الصحف، عندما يعلن عن فقدان الطائرة، وسيعتقد أهلنا أننا قتلنا عند إصطدام الطائرة بالأرض».

ضحك بارنارد وقال: «نعم، هذا صحيح، لكنه لن يضيرنى فى شيء!» سعد كونواى بهذا التعليق، لكنه سرعان ماحيره. إلتفت إلى الآنسة برنكلو، فقالت له: «إن قضاء شهرين هنا لن يسببا أى متاعب، كما قال السيد بارنارد. وأنا سأكون سعيدة تماماً هنا».

دهش كونواى، لكنه شعر بالرضا، إزاء الطريقة الهادئة التى تقبل بها كل من بارنارد وبرنكلو الموقف. حتى ماليسون أصبح بالتدريج أكثر مرحاً، وعندما إنضم إليهم تشانج بعد الغداء، قاموا بتحيته باحترام شديد. إقترح عليهم مشاهدة بعض مبانى المعبد، وأضاف أنه يسره أن يقوم بمهمة المرشد لهم.

قال بارنارد: «شيء جميل، على الأقل نأخذ فكرة عن المكان. فقد لاتتاح لنا فرصة لزيارته ثانية إلا بعد مرور وقت طويل». ووافق الجميع.

لم يكن معبد «شانجرى ـ لا»، أول معبد يراه كونواى، لكن ذلك المعبد كان فسيحاً وأكبر من المعابد المعتادة، مروا عبر أبواب كثيرة موصدة، لكن رغم ذلك، فقد استغرقت الجولة فترة مابعد الظهر. شعر كونواى ببهجة متزايدة. فقد تعرف على الكثير من الكنوز الثمينة التى تعد قطعاً متحفية أصيلة. كانت هناك قازات قديمة جميلة، وأعمال نحتية، ولوحات عمرها يربو على الألف سنة. كما كانت هناك مكتبة رائعة، تحتوى آلافاً من الكتب القيمة. عندما

ألقى كونواى نظرة سريعة على أرففها وجد الكثير مما أدهشه. روائع الأدب العالمى، بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، بالإضافة إلى كميات ضخمة بالصينية وبلغات شرقية أخرى. كان مشدوها للغاية، ولم يشعر بمرور الوقت حتى فوجىء بتشانج يقدم له شاى مابعد الظهيرة لم يصدق كونواى أن الوقت قد أصبح متأخراً إلى هذا الحد.

سألت برنكلو: «لكن، ألن ترينا كهنة المعبد أثناء عملهم؟ أجاب تشانج باحترام: «أنا آسف. هذا مستحيل. لايمكن لأحد من زوار المعبد رؤية كهنة اللاما على الإطلاق».

قال بارنارد: «شىء مؤسف حقيقة، لكننى أود رؤية كبير اللاما».

قال تشانج ثانية: «أنا آسف».

ثم قادهم عبر حديقة صغيرة جميلة، تتوسطها فسقية مليئة بزهور اللوتس. على الجانب الآخر، كانت توجد حجرة أثارت إهتمام كونواى، بها بيانو حديث. فإعتبر ذلك مفاجأة، ضمن مفاجئات مابعد الظهر. علل تشانج ذلك بأن كهنة اللاما معجبون جداً بالموسيقى الغربية، موتسارت بصفة خاصة، وبعضهم يعزف بمهارة شديدة.

كان كل إهتمام بارنارد ينصب فى كيفية النقل. فسأل تشانج بدهشة: «هل تقصدان تقول أن هذا البيانو أحضر إلى هنا من نفس الممر الذى جئنا عبره بالأمس؟». فأجاب تشانج: «ليس هناك طريق آخر؟».

فى تلك اللحظة أحضر الخدم التبتبون أوعية الشاى المعطر، وكانت تتبعهم فتاة ترتدى الزى الصينى. توجهت بهدوء ناحية البيانو وبدأت تعزف، بمنتهى الجمال. كانت هى الأخرى جميلة مثل الموسيقى التى تعزفها؛ ذات أنف طويل نحيف، ووجنتان بارزتان، وبشرة ناعمة فاتحة يتسم بها أهل منشوريا، أما فمها فكان مثل زهرة القرنفل. كانت تجلس فى ثبات فيما عدا أصابع يديها. وما إن إنتهت من عزف المقطوعة الموسيقية، حتى إنحنت إنحناءة بسيطة وانصرفت.

إبتسم تشانج عقب إنصرافها ثم إلتفت ناحية كونواى: وقال: آمل أن تكونوا قد استمتعتم بعزفها؟».

بادره مالينسون بسؤال قبل أن يردكونواى: «من هذه الفتاة؟».

«إسمها «لو ـ تسن» تتميز بمهارة كبيرة فى عزف الموسيقى الغربية وهى مثلى تماما، لم تصل بعد إلى مرتبة اللاما».



وقامت الفتاة الصينية بالعزف على البيانو

قالت الآنسة برنكلو: لا أظن ذلك حقيقة، فهى تبدو بالكاد مجرد طفلة، كم عمرها؟»

«أخشى ألا أستطيع أن أخبرك بذلك».

ضحك بارنارد وقال: «أنت لاتفشى أسرار سن النساء، أليس كذلك؟»

- «بالضبط!» قال ذلك بابتسامة واهنة، ثم تركهم وإنصرف قبل أن يتمكنوا من سؤاله المزيد من الأسئلة.

فى تلك الليلة، بعد العشاء، ترك كونواى رفاقه، وذهب يتمشى وحيداً فى الفناء الهادىء تحت ضوء القمر. كان الهواء بارداً لطيفاً، وجبل كاركال يبدو قريبا، قريبا جداً أكثر منه فى ضوء النهار. كان كونواى مرتاحاً من الناحية الجسدية، لكن ذهنه كان مشغولاً ببعض التساؤلات. كان متحيراً؛ لأنه لم يستطع إدراك سر تلك السلسلة الغريبة من الأحداث التى أتت بهم إلى هنا، لكنه كان متأكداً من قدرته على إدراكها، لو وصل فقط إلى مفتاحها.

أخذ يتمشى عبر الفناء، حتى وصل إلى الشرفة المطلة على الوادى، وتطلع من فوق الحافة إلى تلك المساحة الفارغة بأسفل، التى يغلب عليها اللون الأسود الداكن. فجأة سمع أصواتاً آتيه من الوادى البعيد - دقات طبول منتظمة، وعويلاً واهيا لعدد من الناس. كان هناك شخصان من أهل التبت يسيران تحت سور الشرفة. وبدأ

صوت الطبول يزداد إرتفاعاً، وسمع كونواى أحد الرجلين يسأل زميله. وجاء رد الآخر كالتالي: «لقد دفنوا تالو». كان كونواى يعرف القليل جداً من لغة أهل التبت، فأخذ يصغى بإنتباه شديد. لم يستطع أن يسمع السائل، لكنه سمع الإجابة، وترجمها ترجمة ركيكة كالتالى:

ـ «تالو مات بالخارج... لقد نفذ أوامر الناس الكبار فى «تشانجرى ـ لا»... جاء عبر الهواء فوق الجبال الكبيرة، وهو يركب طائراً ضخما... أحضر غرباء معه... لم يخف تالو من الريح الخارجية، ولا من البرد كذلك... لقد رحل إلى الخارج منذ فترة طويلة، لكن وادى القمر سيظل يذكره».

لم يدر بينهما حديث أكثر من ذلك، ظل كونواى ثابتاً فى مكانة فترة ما، ثم عاد إلى حجرته. لقد سمع مافيه الكفاية ليصل إلى مفتاح هذا السر الغامض، فما سمعه كان موائماً تماماً. إذن، لم تكن الرحلة الجوية من باسكال، رحلة بلا معنى قام بها رجل مجنون بل كان شيئاً مخططا، تم الإعداد له وتنفيذه، بأوامر من «شانجرى ـ لا».

لقد كان الطيار الميت معروفا بالاسم لهؤلاء الناس الذين يعيشون هنا، وواحداً منهم، ولذلك حزنوا عليه. لكن مامعنى ذلك كله؟ لماذا يحضرون أربعة مسافرين فى طائرة حكومية بريطانية إلى هذا المكان السرى المعزول؟

كان الأمر غريبا ومحيراً، فاتخذ كونواى قراراً فورياً، بألا يبوح بشكوكه لأى أحد، ولاحتى لرفاقه، الذين قد لايساعده، ولاتشانج الذى لن يساعده بالتأكيد.

الفصـــل السادس

تعود كونواى ورفاقه على الحياة فى «شانجرى ـ لا»، بالتدريج. ولتمضية الوقت بدأت الآنسة برنكلو فى تعلم لغة أهل التبت، ووجد كونواى الكثير مما يهتم به، بغض النظر عن المشكلة المحيرة التى كرس نفسه لها. خلال الأيام الدافئة المشمسة، كان يقضى وقته فى المكتبة وحجرة الموسيقى. قدر عدد الكتب الموجودة فى المكتبة مابين عشرين وثلاثين ألف كتاب، وأخبره تشانج أن هناك العديد من الكتب الأخرى التى نشرت فى منتصف عام ١٩٣٠، وصلت إلى المعبد، لكنها لم تأخذ مكانها على الأرفف بعد، وأضاف قائلا: «نحن حريصون على أن نكون مواكبين للعصر، كما ترى».

أجاب كونواى بابتسامة: «قد لايتفق بعض الناس معك فى ذلك فقد وقعت أحداث كثيرة فى العالم منذ العام الماضى، كما تعلم».

ـ «لن يكون هناك شيء أفضل، ياسيدى العزيز، لكى نستوعبه»

قال كونواى: «أتعرف ياتشانج، لقد بدأت أفهمك. الزمن لا أهمية له بالنسبة لك، بعكس معظم الناس الآخرين. لو أننى كنت فى لندن، فلن أكون فى حاجة لقراءة صحيفة قديمة صدرت منذ ساعات، وانتم هنا فى «شانجرى ـ لا» لست قلقا لمعرفة ماحدث منذ عام مضى. يبدو لى ذلك توجهاً معقولا. بالمناسبة، منذ متى إستقبلتم زواراً قبلنا؟».

ـ «هذا، ياسيد كونواى، مالا أستطيع التصريح به، لسوء الحظ».

كان ذلك النهاية المعتادة لأى نقاش، ولأن كونواى تعود على ذلك، فلم يعد يتضايق. بدأ يعجب بتشانج أكثر وأكثر، لكن الأمر الذى لايزال يحيره، أنه لمْ يقابل سوى القليلين جداً ممن يعيشون فى المعبد. حتى اللاما أنفسهم، ممنوع الإقتراب منهم، لكن بالتأكيد هناك آخرين من أمثال تشانج!.

كانت هناك بالطبع تلك الفتاة المنشورية «لو ـ تن». كان يراها أحيانا، عندما كان يذهب إلى حجرة الموسيقى؛ لم تكن تعرف الإنجليزية وهو لم يكن يرغب فى الاعتراف بأنه يعرف الصينية. فقد يثمر ذلك عن شيء مفيد فيما بعد، لو أنه حافظ على سره. كان من المستحيل أن تعرف ماذا يدور فى ذهنها؛ كما كان من الصعب جداً تخمين سنها. كان يشك عما إذا كانت فوق الثلاثين، أم أقل من الثالثة عشرة؛ ورغم ذلك، فكلا الافتراضين

لايمكن بأى حال من الأحوال، أن يكونا قاعدة صحيحة للحكم على سنها على الاطلاق. فقد كانت من ذلك النوع الذى لايبدو عليه السن.

أما مالينسون، الذى كان يذهب أحيانا لسماع الموسيقى، فقد تحير فى أمرها، فقال لكونواى أكثر من مرة: «أنا لاأستطيع أن أدرك ماذا تفعل هنا؟ هل تعتقد أنها تحب المكان؟».

فأجاب كونواى: «لايبدو عليها أنها تكرهه».

- «لايبدو عليها أنها تمتلك أى أحاسيس على الاطلاق. إنها أشبه بدمية صفراء صغيرة أكثر منها كائن حى. ترى كم عمرها؟»

ثم أضاف بعد فترة صمت: «وكم تظن عمر تشانج؟».

أجاب كونواى بخفه: «مابين التاسعة والأربعين ومائة وتسع وأربعين». فى غضون ذلك، كانت الآنسة برنكلو تبدو مستمتعة بدراسة لغة أهل التبت. ويواصل بارنارد دعاباته المرحة اللاذعة. والأمر الذى كان يضايق مالينسون، فقال ذلك كونواى.

فأجابه كونواى، «أليس من حسن حظنا أن يكون هادئاً هكذا؟».

لكن مالينسون رد عليه: «أعتقد أن هذا شىء غريب. فمن المفترض أنه رجل أعمال وصاحب عقلية متميزة - أم أنك ترى إن

أسلوب الحياة الهادىء هنا قد دفعت به إلى الجنون. **ماالذى تعرفه عنه، ياكونواى؟**

ـ هل حدث، ورأيت جواز سفره؟

ـ «من المحتمل أن أكون رأيته، لكننى لاأذكر. لماذا؟»

ـ «لأن بارنارد يسافر بجواز سفر مزور. هو ليس بارنارد على الاطلاق».

أثار ذلك إهتمام كونواى، لكنه لم يبد أى نوع من القلق. لأنه كان يحب بارنارد، لكنه حقيقة لايهتم بمن يكون. **فقال:** «حسن، من هو. إذن؟».

«إنه تشارلز بريانت».

ـ «حقا؟ وما الذى يجعلك تعتقد ذلك؟

ـ «سقطت منه مفكرة خاصة به هذا الصباح. فوجدها تشانج وأعطاها لى، اعتقاداً منه أنها تخصنى. كانت مليئة بقصاصات الجرائد، ولم أستطع مقاومة النظر فيها. كلها تتحدث عن بريانت والبحث عنه، وفى واحدة منها صورة تشبه بارنارد تماماً».

فكر كونواى قليلاً. ثم قال ببطء : «حسن ربما تكون على صواب. وهذا يفسر قناعته بوجوده هنا ـ فليس من السهل أن يجد مكانا مثل هذا المكان ليختفى فيه».

سأله مالينسون: «ماذا تنوى فعله بخصوص ذلك الأمر؟»

ـ «لا أستطيع أن أقرر ماذا يمكننى أن أفعل فى هذه اللحظة. حتى لو كان مجرماً، يتحتم علينا أن نتعايش معه، حتى يمكننا جميعاً الخروج من هنا. أنصحك بألا تقول شيئاً عن إكتشافك هذا».

قال مالينسون بإنفعال: «لكن الرجل ليس الإ لصاً، وأنا أعرف أشخاصاً كثيرين فقدوا أموالهم بسببه».

كان بريانت رئيس مجموعة شركات فى نيويورك. لم يعرف كونواى الموضوع إهتماماً كبيراً، لكنه تذكر أن مجموعة بريانت أفلست، وخسر مئات من المساهمين أموالهم فى هذه الكارثة. كان بريانت مسئولا بشكل مباشر عن هذه الخسارة، فغادر أمريكا على عجل إلى أوربا، بعد أن أخذ كل أمواله معه. وبدأت الشرطة فى البحث عنه فى أكثر من ست دول أوربية، لكنه كان قد إختفى تماما.

وأخيرًا قال كونواى: «إسمع يامالينسون، لو تأخذ بنصيحتى، لاتقل شيئاً عن هذا الموضوع. ليس من أجله، ولكن لننقذ أنفسنا من موقف خطير. هدىء من روعك، ولاتنس أنه قد لايكون ذلك الشخص على الإطلاق».

لكنه كان نفس الشخص، إعترف بذلك بعد العشاء فى ذلك المساء. كان ذلك بعد أن تركهم تشانج، وتناولت الآنسة برنكلو

كتبها لمراجعة قواعد لغة أهل التبت. جلس الرجال الثلاثة في صمت حذر. تأكد كونواى أن مالينسون لم يكن لديه القدرة الكافية للتعامل مع الأمريكي، وكأن شيئاً لم يحدث، وكان من الواضح تماماً أن بارنارد شعر بأن هناك شيئاً قد حدث،

فجأة قذف الأمريكي بسجارته بعيداً، وقال: «أعتقد أنكم جميعاً تعرفون من أنا».

لم يقل مالينسون شيئاً، في حين أجاب كونواى بهدوء: «نعم، نعرف».

قال بارنارد: «كان إهمالاً منى بالطبع أن أترك قصاصات الجرائد تسقط منى، وعلى كل حال ـ فليهدأ بالكم».

خيمت فترة صمت أخرى، كسرته الانسة برنكلو أخيراً. قالت:

ـ «أنا لست متأكدة بمن تكون أنت، ياسيدنا بارنارد، رغم أننى خمنت أنك كنت تسافر باسم آخر غير اسمك».

تطلع إليها الجميع بدهشة، ثم واصلت كلامها: «أذكر عندما قال السيد كونواى إن اسماءنا لابد أن تنشر في الصحف، قلت أنت، إن هذا لن يضرك في شيء. لحظتها عرفت أن بارنارد من المحتمل ألا يكون اسمك الحقيقي».

إبتسم بارنارد إبتسامة بطيئة وهو يشعل سيجارة أخرى، وقال:

ـ «أنت مخبر سرى رائع!. حسن.. أنا لست آسفاً لأنكم إكتشفتم ذلك. لقد كانت تصرفاتكم معى لطيفة جداً، وأنا لا أبغى إثارة أى مشاكل. ينبغى علينا فى هذه اللحظة، أن نساعد بعضنا البعض بأقصى مانستطيع؛ وأعتقد أننا نستطيع أن نترك المستقبل يحدد مجراه».

تطلع إليه **كونواى** باعجاب شديد. فقد كان من الغريب جداً، أن يظن الإنسان، بأن هذا الرجل الوقور ذو المظهر الأبوى، واحداً من أسوا المخادعين واللصوص فى العالم. كان يبدو مثل ناظر مدرسة ثانوية.

ورداً على تعليق بارنارد الأخير، **قال كونواى**: «نعم، أنا متأكد أن ذلك أفضل شيء نفعله».

ضحك بارنارد، وقال: «كان الأمر فى البداية مثيراً جداً، فقد طاردنى البوليس عبر أوربا، كما تعلمون؛ وكاد يقبض على فى فيينا! وبعد فترة، بدأت أعصابى تتوتر، لذا فأنتم تستطيعون أن تقدروا، لماذا أنا راض بالبقاء هنا. المكان هنا هادىء ولطيف من أجل التغيير لا أحد يستطيع أن يتصل بك تليفونيا!»

قال كونواى بجفاف: «أجرؤ على القول بأنهم يودون ذلك لو فى استطاعتهم. لابد أن أعترف بأننى لاأعرف الكثير عما يسميه الناس رأس المال الكبير».

أجاب الأمريكى: «رأس المال الكبير هو الحظ فى المقام الأول ولقد نلت أكثر من نصيبى من الحظ السيىء، وفقدت كل أموالى، هذا كل شىء».

قال مالينسون بحدة: «وضيعت أموال الناس الآخرين أيضاً».

- «أجل، فعلت ذلك. لكن لماذا؟ لأنهم جميعاً يطمحون لمزيد من المال، وليس لديهم العقلية المالية للكسب بأنفسهم؟»

- «أنا لا أتفق معك فى ذلك. بل لأنهم وثقوا فيك، وظنوا أن أموالهم فى أمان».

أجاب بارنارد: «لم تكن فى أمان. ولايمكن أن تكون. ليس هناك أمان الان فى أى مكان. لم أستطع مقاومة الكارثة فى سوق المال، مثلما لم تستطيعوا أنتم مقاومة ماحدث بعد أن تركنا باسكال!».

قبل أن يستطيع مالينسون الرد، قال كونواى بسرعة: «من الأفضل ألا نتنافش. الشىء المهم أننا هنا الآن، وينبغى أن نساعد بعضنا ونجعل إقامتنا فى أفضل وضع. الشىء الغريب فى الأمر، أن يجد ثلاثة أشخاص من أربعة، بعض الراحة فى وجودهم هنا».

قال مالينسون بغضب: «أرجو ألا تكون قد حسبتنى منهم».

أجاب كونواى بهدوء: «كلا. عددت بارنارد والآنسة برنكلو

وأنا. وتبريرى بالنسبة لنفسى للبقاء هنا ربما يكون فى غاية البساطة ـ هو أننى أود البقاء هنا».

كان ذلك صحيحاً تماماً؛ فقد أحب البقاء فى «تشانجرى ـ لا». بعد تفكير لمدة عدة أيام، إستطاع كونواى أن يصل بالتدريج إلى حل غريب لمشكلة المعبد والإقامة فيه. أحس بأنه قد وصل إلى المفتاح الأخير للسر. فهنا فى «شانجرى ـ لا» كان كل شىء هادئاً وآمنا. النجوم تتلألأ فى الليالى غير المقمرة، والجبل البعيد تتبدى ملامحه على الضوء الأزرق الشاحب الواهن. فجأة شعر كونواى بأنه لاداعى لأن يطمئن نفسه بمسألة وصول الحمالين من العالم الخارجى فوراً، لو أنهم غيروا خططهم.

قُطعت أفكاره، بوصول تشانج بشكل هادىء، وبادره بقوله: «سيدى، لى كل الفخر بأن أحمل لك أخباراً هامة. لقد أرسل اللاما الأكبر يستدعيك لمقابلته. وهو يرغب فى رؤيتك فوراً».

كان من الواضح أن الرجل مرتبك جداً. ثم واصل كلامه: «منذ أسبوعين لم تكن وصلت، والآن حل موعد إستقباله لك! لم يحدث ذلك أبداً بمثل هذه السرعة من قبل».

فسأله كونواى، وهو متحير بسبب إضطراب تشانج: «أليس الوقت متأخراً جداً لنقوم بزيارته الليلة؟».

ـ هذا لايهم. سيدى العزيز، سوف تدرك كل شىء حالاً. وكم أود أن أعرب عن سعادتى لإنتهاء مرحلة الانتظار. صدقنى

ياسيدى، بأننى لم أكن مستمتعاً بإمتناعى عن إعطائك معلومات فى كثير من الأحيان، ودعنى أعبر لك عن إبتهاجى، لإنتهاء مثل هذه المضايقات».

قال كونواى: «حسن، دعنا نذهب، ولاداعى لأن تزعج نفسك بمزيد من التبريرات. هيا أرنى الطريق».

الفصـــــل السابع

كان هدوء كونواى الظاهرى يخفى شغفاً متزايداً أثناء مصاحبة تشانج له عبر الفناء الخالى، لو أن كلمات تشانج كانت تعنى شيئاً، فمعنى ذلك أنه كان على مشارف كشف جديد؛ سرعان ما يتأكد عما إذا كان تصف مايفكر فيه صحيحاً أم لا.

لاحظ أن تشانج كان يسير به عبر حجرات لم يرها من قبل. بعد ذلك صعدا سلماً وطرق باباً سرعان مافتحه خادم من أهل التبت.

كان الهواء جافاً ودافئاً فى هذا الجزء من المعبد، كما لو كانت كل النوافذ مغلقة بإحكام، وبعض الأشجار الاستوائية تنتح أبخرتها بكل طاقتها. وأخيراً توقف عند باب وقال برقة:

«سوف يستقبلك اللاما الأكبر وحدك». بعد ذلك فتح الباب لكى يدخل كونواى، ثم أغلقه خلفه بهدوء.

وقف كـــونـواى ثابتـا فى مكانه حـتـى تأقلمت عيناه على الظلام. ثم إكـتشف أنه بداخل حـجرة ذات ستائر ثقيلة، وسقـفـها منخـفض، أثاثها بسيط، منضدة وبعض المقاعد. على أحـد هذه المقاعد كان يجلس شخص نحيف شاحب مجعد، لايتحرك، وكأنه لوحة مبهمة قديمة شاحبة. تقدم كـونواى عـدة خطوات إلى الأمام، وتابعته العينان الهرمتان، دون حركـة. بدت ملامح المقعد أكثر وضوحاً الآن، وتبين كونواى أنـه رجل عجوز ضئيل الحـجم يرتدى ملابس صينية. وأخيراً قال بلغة إنجليزية متميزة: «أنت السيد كونواى؟» أجاب كونواى: «نعم، أنا هو».

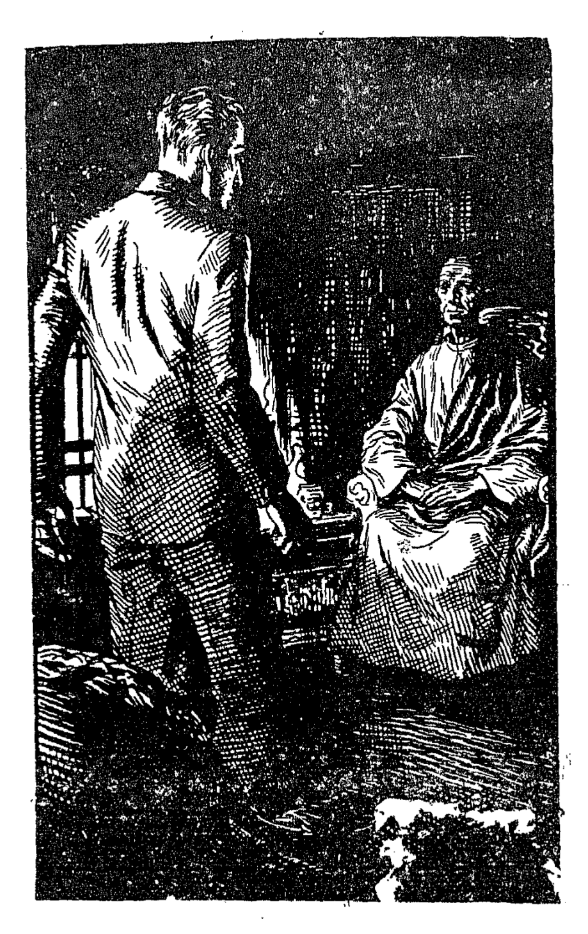
فإنساب الصوت: «يسعدنى أن أراك، ياسيد كونواى، تفضل بالجلوس إلى جوارى ولاتخشى شيئا. فأنا رجل عجوز، لاأستطيع إيذاء أحد».

فقال كونواى: «لى عظيم الشرف أن تستقبلنى».

ـ «أشكـرك. وهذا يسعدنى جداً. رغم أن بصرى واهن، إلا أننى أستطيع أن أتصورك فى ذهنى، مثلما أراك بعينى تماماً. آمل أن تكون مرتاحاً فى شانجرى ـ لا، منذ وصولك؟»

ـ «مرتاح للغاية».

ـ «أنا سعيد لسماع ذلك. وأنا واثق أن تشانج بذل قصارى جهده من أجلكم. أخبرنى أنك كنت تسأل أسئلة كثيرة عن المعبد وشئونه.



أنا مسرور برؤيتك يامستر كونواى

أجاب كونواى: «أنا فى الحقيقة مهتم بذلك».

- «لو أتحت لى فرصة قليلة من الوقت، سأكون سعيداً لإعطائك فكرة مختصرة عن مؤسستنا».

قال كونواى: «ليس هناك شيء يسعدنى أكثر من ذلك».

بدأ اللاما الأكبر يتكلم:

- «من المحتمل أن تكون على معرفة بالملامح العامة لتاريخ التبت. ولك أن تعرف أن المسيحية إنتشرت بشكل واسع فى آسيا خلال العصور الوسطى. ثم تلاشت بالتدريج، لكن ذكراها ظلت باقية، وفى القرن السابع عشر أرسلت روما العديد من البعثات التبشيرية إلى نفس المنطقة.

«فى عام ١٧١٩ ، إنطلق أربعة قساوسة بلجيكيين من الصين إلى التبت وسافروا اتجاه الجنوب الغربى لعدة شهور. مات ثلاثة منهم فى الطريق، وكان الرابع على وشك الموت، عندما عثر صدفة على الممر المؤدى إلى وادى القمر الأزرق. ولحسن حظه. التقى بأهل الوادى الذين أكرموا وفادته وعاملوه معاملة كريمة. كانوا بوذيين، لكن كان لديهم إستعداد كامل لسماع تعاليم الدين المسيحى. كان هناك بقايا معبد بوذى قديم على حافة هذا الجبل، فقرر القسيس بناء كنيسة مسيحية فى نفس المكان. أعيد ترميم البناء القديم وبنائه، وبدأ المعيشة فيه عام ١٧٣٤ ، عندما كان عمره ثلاثة وخمسين عاما.

«والآن دعنى أحكى لك المزيد عن هذا الرجل. كان اسمه بُرلوت، وقبل أن يصبح قسيسا، درس فى باريس وبولونيا وفى جامعات أوربية أخرى. كان رجلاً متعلما ومثقفاً، ومغرماً بالموسيقى والفنون ولديه قابلية لتعلم اللغات الأجنبية. كان قوى البنية فى سنواته الأولى هنا، يعمل بيديه مثل الآخرين، يحضر فى الحديقة، ويزرع العديد من النباتات المحلية والأعشاب. لم يكن من النوع الحالم، بل يستمتع بالأشياء الجميلة فى الحياة، وكان حريصاً على تعليم الطهى لرفاقه كحرصه على تعليمهم العقيدة. ولك أن تتصور أن هذا الرجل الجاد، المشغول، المتعلم، البسيط، البشوش، لم يكن يضيره رغم أنه رجل ذو قداسة، أن يرتدى ملابس العمال ويساعدهم فعلاً فى بناء كل هذه الحجرات.

«ومضى الزمن، وأصبح بُرلوت عجوزاً جداً. وبالتدريج بدأ أتباعه، يرتدون إلى البوذية. لم يكن الأمر غريبا جداً فى الواقع، بل كان متوقعا، لأن رجلاً واحداً لايعاونه أحد، لايستطيع حقيقة أن يغير من العادات والعقائد التى إستمرت قروناً طويلة. لم يكن لديه أعوان أوربيون لمساندته، أو ربما كان من الخطأ قيامه بالبناء فى نفس المكان الذى كان يحتله مَعبد بوذى. لكن بُرلوت لم يتبين خطأه ساعتها. لكنه كان رغم كبره سعيداً. فقد كان أتباعه يحبونه ويقدرونه رغم أنهم نسوا تعاليمه. وكان لايزال يتمتع بنشاطه الذهنى والجسدى وفى سن الثامنة والتسعين بدأ بتعليم الكتابة البوذية.

«كانت حياة بْرلوت فى هذه الفترة هادئة جداً ووادعة فقد كان ينتظر النهاية. ورجل فى مثل سنه معرض للإصابة بالمرض ولن يريحه من ذلك إلا النوم الأبدى. كان أهل الوادى يزودونه بالطعام والملبس، وقضى أيامه الهادئة بين كتبه وذكرياته. كان يجدد نشاطه الذهنى بتناول بعض العقاقير الخفيفة، وكذلك جسده ببعض تمرينات التنفس العميق التى يسميها الهنود اليوجا. فى عام ١٧٨٩، عندما صار عمر بْرلوت مائة وثمانية سنة، تسربت أنباء إلى الوادى بأنه أخيراً قد مات.

«كان يرقد فى هذه الحجرة، ياعزيزى كونواى، بحيث كان يستطيع رؤية سفوح جبل كاركال البيضاء من النافذة. كان ذهنه صافيا صفاء الثلج الأبيض، ومستعداً للموت عن رغبة ورضا. إستدعى أصدقاءه وخدمه، الذين إلتفوا حوله وقال لهم وداعاً؛ ثم طلب منهم أن يتركوه وحده. وتمنى خلال هذه العزلة الهادئة أن تفارقه روحه.. لكن ذلك لم يحدث. ظل راقداً لعدة أسابيع دون كلام أو حركة، ثم بدأ يستعيد عافيته».

توقف اللاما الأكبر عن الكلام وتطلع بعينيه الحالمتين إلى ماخلف كونواى لمسافة بعيدة. وأخيراً أكمل كلامه:

«عندما توفى آخر كاهن عام ١٧٩٤، كان بْرلوت مازال على قيد الحياة. إذ يبدو أن تناول العقاقير وتمارين اليوجا، قد وهبته سر

الحياة الخالدة. بدأ أهالى الوادى البسطاء يعتبرونه إلها يمتلك قوى غريبة، وكانوا يصعدون كل يوم إلى شانجرى ـ لا، ويقدمون هدية بسيطة من الطعام أو الملابس، ويقومون بالخدمات اللازمة.

«عاش بْرلوت نوعاً من الحياة كان يتمنى أن يعيشها. لم يكن لديه أبداً وقت للقراءة؛ والآن لديه كل وقت العالم، وسرعان ما أحس بالطبع، بأنه فى حاجة إلى مزيد من الكتب، فى حين لم يكن لديه إلا القليل الذى أحضره معه، ومن ضمنها كتاب فى قواعد اللغة الأنجليزية وقاموس ومن خلال هذين الكتابين إستطاع أن يحل كل المشاكل فى لغتكم. كانت ذاكرته مدهشة ومتفتحه وعلى إستعداد لتعلم كل شىء بسهولة أكثر من قدرتها على تعلم أى شىء أثناء فترة الدراسة.

وفى عام ١٨٠٤، وصل غريب آخر من أوربا إلى وادى القمر الأزرق. كان شاباً نمساوياً يدعى هنشل.. ينحدر من أسرة نبيلة وذو تعليم راق ولاشك أنه من الطريف أن تعرف كيف وصل إلى الوادى، هو نفسه لم يكن لديه أى فكرة عن ذلك؛ فقد كان ميتاً تقريبا عندما وصل. فقام أهل الوادى بعلاجه ورعايته حتى إستعاد الغريب عافيته. ربما تعرف أن الوادى به ذهب يمكن التنقيب عنه، فبدأ هنشل فى وضع خطط للتنقيب عنه. كان كل هدفه أن يصبح ثريا بسرعة ويعود إلى أوربا بأسرع مايمكن.

«لكنه لم يعد. فذات يوم، بعدما سمع عند المعبد، صعد إلى شانجرى ـ لا، وكان أول لقاء مع بُرلوت.

«ومنذ اللحظة الأولى، أحب هنشل بُرلوت وأعجب به أعجاباً شديداً، وشاطر الرجل العجوز الشاب فى أحلامه وآماله الجامحة التى ملأت قلبه».

سادت فترة صمت، ثم قال كونواى بهدوء شديد: «أُخشى ألا أكون قد فهمت تماما. ماذا كان ذلك الأمل؟»

«سوف أشرح لك قبل أن أنهى كلامى، والآن أرجو أن تغفر لى لو أننى حجبت بعض الحقائق من القصة. المهم، وهذا سيسعدك كثيرا أن هنشل بدأ فى تجميع الفنون الصينية، وأنشأ مكتبتنا، والكتب الموسيقية. فى عام ١٨٠٩، قام برحلة طويلة وخطرة إلى بكين وأحضر معه الكثير من الأشياء. لم يغادر الوادى ثانية، لكنه خطط نظاماً نستطيع بمقتضاه حتى الآن، الحصول على أى شىء من العالم الخارجى».

«أعتقد أنك ذلك كان سهلاً لأنكم تدفعون مقابل ذلك بالذهب».

«نعم. فنحن محظوظون لأننا نمتلك مايكفينا من معدن ذى قيمة عالية فى أنحاء أخرى من العالم».

قال كونواى: «أنتم محظوظون للنجاة من إندفاع الناس إلى هنا طلبا للثروة».

،أحنى اللاما الأكبر رأسه موافقا، وقال: ،هذا ماكان منشل يخشاه دائما، فكان حريصاً بألا يدخل الحمالون إلى الوادى. كانوا يتركون كل مايحضرونه يوم إنتهاء الرحلة خارج الوادى، ثم يذهب أصل الوادى ليحضروها. لكنه سرعان مافكر فى حل آخر أسهل وأكثر أمنا،.

أخذ كونواى نفساً عميقاً، وتساءل عما إذا كان سيسمع حلاً لمشكلته؟ ثم قال برقة: ،ماذا؟،

واصل اللاما كلامه: ،أنت ترى، أننا لا نخشى من هجوم جيش منظم، لأن ذلك مستحيل تماماً نظراً لطبيعة المنطقة وأبعادها الشاسعة. الخطر الوحيد يتمثل فى قلة من المتجولين التائهين، وحتى لو كانوا مسلمين إلا أنهم غالباً مايكونوا منهكين ومرضى. لذا فقد تقرر أن يرحب بكل الغرباء فى شانجرى ـ لا.

،وخلال فترة من السنوات، جاء بعض الغرباء. تجار صينيون، بعض أهل التبت المتجولين، اثنان من المبشرين الإنجليز كانا مسافرين إلى بكين؛ وفى عام ١٨٢٠، جاء تاجر، يونانى، بصحبته بعض الخدم المرضى الذين يتضورون جوعاً، عثر عليهم موتى فى قمة الممر. وفى عام ١٨٢٢ جاء ثلاثة من الأسبان سمعوا عن وجود الذهب، وصلوا بعد تجوال كثير وأصيبوا بخيبة الأمل، وفى عام ١٨٣٠، زارتنا مجموعة من خمسة مستكشفين، ألمانيان، وروسى، وإنجليزى، وسويدى. فى تلك الفترة، حدث تغير

طفيف فى أسلوب إستقبالنا للزوار، وهو ألا نرحب بهم فقط إذا تصادف وعرفوا طريقهم إلى الوادى، بل أصبح من المعتاد أن نخرج لمقابلتهم ونريهم الممر الذى يؤدى بهم إلى شانجرى - لا. سوف أشرح لك مبرر ذلك فيما بعد، لكن النقطة المهمة، أن المعبد الآن فى حاجة ملحة ورغبة شديدة لإستقبال زوار جدد.

«فى هذه الأثناء، كبر المعبد وتطور، إن شانجرى - لا، مدين بالكثير هنشل وبرلوت، فقد أنجز الكثير قبل أن يموت».

- «مات؟».

- «نعم. وعلى حين فجأة. قتل عام ١٨٥٧. وقبل أن يموت بقليل قام رسام صينى بعمل لوحة له، وبإمكانى أن أريك اللوحة الآن. إنها فى هذه الحجرة» وأشار إلى ستارة صغيرة فى نهاية الحجرة، فإتجه كونواى إليها وأزاحها. فبدت على الحائط صورة لشاب جميل الوجه.

قال كونواى: «لكنك... قلت إن هذه الصورة رسمت قبل قتله بقليل؟

- «نعم. وهى تشبهه جداً».

- «إذن لو أنه مات عام ١٨٥٧، لكان...».

- «نعم، مات عام ١٨٥٧».

ـ «وقد جاء إلى هنا عام ١٨٠٣ ، عندما كان شابا...؟

ـ «نعم».

لم يرد كونواى للحظة. وأخيراً بذل جهداً وقال: «أنت قلت إنه قتل؟».

ـ«نعم. قتله رجل إنجليزى. حدث ذلك بعد عدة أسابيع من وصوله إلى شانجرى ـ لا. كان واحداً من ضمن هؤلاء المكتشفين.

«وماذا كان السبب؟».

«حدث شجار ـ بخصوص بعض الحمالين بعد أن أخبره هنشل» بضرورة الالتزام بالشروط التى تحكم إستقبالنالضيوفنا» . توقف كبير اللاما عن الكلام، ثم أضاف: «لعلك الآن تتساءل ياعزيزى كونواى ، عما يمكن أن تكون هذه الشروط؟»

أجاب كونواى ببطء وصوت خفيض: «أعتقد أنه بإمكانى تخمينها.

ـ «هل تستطيع حقيقة؟. وهل تستطيع أن تخرج بأى شىء آخر بعد سماعك لقصتى الغريبة الطويلة؟».

ـ «كلا ـ مستحيل! » قال كونواى ذلك بنوع من الشك، لأن ذهنه كان يمور بالحيرة. ثم أردف قائلا: «هذا مذهل ـ خارق للعاده ـ ولايمكن تصديقه على الإطلاق...»

ـ «ماهو، يابنى؟»

أجاب كونواى: «إنك مازالت على قيد الحياة، أيها الأب برلوت».

الفصل الثامن

حدثت فترة صمت أحضر خلالها الخدم الشاى المعطر فى فناجين صينية رقيقة، ثم بدأ اللاما الأكبر يتكلم عن الموسيقى، قال الرجل العجوز:

«نحن سعداء لوجود واحد من مجموعتنا موسيقى بارع جداً، تلميذ شوبان فى الحقيقة، لابد أن تقابله».

واصلا الحديث عن الموسيقى حتى أخذ الخدم فناجين الشاى؛ فى تلك اللحظة كان لدى كونواى القدرة ليقول بهدوء شديد: «وهكذا، فأنت كنت تقصد الإحتفاظ بنا؟ وذلك فيما أعتقد هى الشروط الهامة التى تتعاملون بها مع كل ضيوفكم؟

ـ «تخمينك صحيح، يا بنى»

ـ «الأمر الذى يحيرنى، لماذا نحن الأربعة دوناً عن باقى مكان العالم؟

ـ «يجب أن أشرح لك أننا نحاول دائماً أن نحافظ على عددنا فى تشانجرى ـ لا، دون زيادة أو نقصان ولسوء الحظ، توقفت الرحلات الإستكشافية والسفر إلى منطقة التبت بسبب نشوب الحرب الأوربية الأخيره وقيام الثورة الروسية. لم يفد إلينا زوار منذ عام ١٩١٢. وهكذا، يا عزيزى كونواى، لم نستطع تحقيق أى إنجاز فبعض زوارنا لا يستفيدون من بقائهم هنا، وآخرون يحيون مجرد حياة أشبه بالحياة العادية القديمة، ثم يموتون من بعض الأمراض البسيطة نحن نحقق أكبر نسبة فشل مع أهل التبت والصينين : أما إنجازاتنا العظيمة فمع الأوربيين.

«ولكن ينبغى على الآن أن أجيب على سؤالك كما شرحت لك من قبل، لم يفد إلينا زوار جدد، منذ ما يقرب من عشرين عاما، وحدثت لدينا عدة وفيات وبدأت المشكلة تتفاقم ومن ثم، ومنذ عدة سنوات مضت، طرح أحدنا إقتراحا جديداً كان شاباً ومن مواطنى الوادى، نثق فيه تماماً، ومتعاطف جداً مع أهدافنا أقترح أن يرحل عنا ويسافر إلى بعض البلاد الأجنبية وهناك يمكنه احضار بعض الزوار بوسيلة مواصلات لم يكن من الممكن إستخدامها خلال العشرين عاماً الماضية.

سأل كونواى: «تعنى أنه أرسل بقصد إحضار بعض الناس بالطائرة؟»

«نعم كان الجزء الأول من خطته، أن يتعلم الطيران بمدرسة طيران أمريكية».

«لكن كيف دبر باقى الخطة؟ فلقد حدث أن وجدت هذه الطائرة بالصدفة فى باسكال».

«هذا صحيح، يا عزيزى كونواى ـ كثير من الأمور تحدث بالصدفة.

لكن حدث ـ وكانت هى الفرصة التى يترقبها «تالو» ولقد كان محظوظا أن واتته هذه الفرصة سريعاً.

سأل كونواى : «لكن ما الهدف من ذلك كله؟»

بدرت من اللاما الأكبر إبتسامة لطيفة وقال : «إن أسلوبك الهادئ فى السؤال يهبنى سعادة كبيرة فيما مضى كانت أخبارى تلقى ترحيباً شديداً بأساليب مختلفة ـ بالاحتقار، أو الأسف، أو الغضب، أو عدم التصديق أما أنت فمهتم بها أليس كذلك؟ لكن كل ما أطلبه منك فى الوقت الحالى، ألا تردد ما سمعته على أحد من رفاقك الثلاثة.

ظل كونواى صامتاً، فواصل الرجل العجوز حديثه : «والآن، دعنى أبدأ فى رسم صورة جميلة لك. أنت مازلت شابا كم تتوقع لنفسك أن تعيش؟ عشرين أو ثلاثين سنة أخرى. لكن، لو أنك أحد المحظوظين فى شانجرى ـ لا، فإن حياتك بالكاد لم تبدأ بعد لن تشعر بأنك أكبر مما أنت فيه من العمر، عندما تبلغ التسعين. يمكنك أن تستمتع بفترة شباب طويلة ورائعة مثلما فعل

هنشل سوف يأتى عليك وقت تغدو فيه عجوزا مثل الآخرين، لكن ذلك سيواتيك ببطء أكثر مما تتصور فى الثمانين سوف تحتفظ بقوة الشباب، لكنك لن تأمل فى أن تكون بكامل نشاطك عندما تبلغ ضعف سنك نحن لم نقهر الموت تماماً، أو كبر السن. كل ما فعلناه أننا أبطأنا وقع الحياة، حتى نغدو مسنين فى مرحلة أكثر هدوءاً وسكينة.

«فكر فى ذلك! سوف تأتى السنوات وتمضى، وسيكون لديك الوقت لكل شئ الزمن ... تلك الهدية النادرة الجميله التى فقدتها بلادكم الأوربية فى خضم ذلك الإيقاع اللاهث المضطرب للحياة الحديثة».

توقف صوت الرجل العجوز عن الكلام فى حين ظل كونواى صامتا .

«لم يصدر عنك أى تعليق، يا عزيزى كونواى ربما تفكر فى الزوجة والوالدين والأطفال الذين تركتهم هناك فى العالم؟ أو ربما تكون نادماً لترك عملك؟ صدقنى، ربما يكون ألم الفراق مؤلماً فى البداية، لكن بمرور عشر سنوات، فلن تقلقك الذاكرة.

وتخيل لى، لو أننى قرأت ما فى ذهنك بشكل صحيح، فلن أجد به أى أحزان.

إبتسم كونواى لدقة حكم الرجل العجوز وأجاب : ذلك صحيح، فأنا لست متزوجاً، ولدى القليل من الأصدقاء، وليس لدى أى طموحات»

توقف عن الكلام، ثم واصل، وهو نصف مندهش لما صدر منه من كلمات.

«حقيقة، أنا أحب هدوء وسكينة هذا المكان وكما قلت أنت، فلن يكون لدى أدنى شك فى التعود على كل شىء هنا.

«هل هذا كل شىء، يابنى؟ ألا تحس بمشاعر قوية إزاء ما قصصته عليك؟»

ظل كونواى صامتاً لفترة، ثم أجاب : «لقد أثار اهتمامى فى حكايتك الجزء الخاص بالماضى أكثر من الصورة التى رسمتها للمستقبل؟ أنا لا أستطيع أن أتطلع أكثر من ذلك إلى المستقبل ولسوف أكون نادماً لو أننى غادرت شانجرى ـ لا، الأسبوع القادم، أو ربما العام القادم؛ لكنني لا أستطيع أن أعبر عن كيف ستكون مشاعرى إذا عشت حتى سن المائة أحياناً أتساءل عما إذا كان هناك أى هدف أو مبرر للحياة، وإذا لم يكن، إذن فلا جدوى من إطالة الحياة.

«يا صديقى، إن كل التعاليم المسيحية والبوذية، تشير بأن هناك معنى «للحياة».

«ربما، لكن ما المبرر للعيش مائة سنه أو أكثر؟»«هناك مبرر واضح جداً، وشانجرى ـ لا سيعطيك الجواب.

نحن لا نجرى وراء التجارب المثالية والأفكار الخيالية نحن لدينا حلم وأمل فى المستقبل عندما رقدت لملاقاة الموت فى هذه

الحجرة عام ١٨٧٩ ، إسترجعت حياتى الطويلة، كما قلت لك وبدا لى أن الجمال كله شىء مؤقت، وأن الجشع والحرب والقسوة سوف تسحق فى يوم ما، كل الأشياء الجميلة حتى لا يبقى هناك شىء فى العالم كل شىء ثمين سيكون معرضاً للخطر : كل كتاب، كل لوحة، كل قطعة موسيقى، كل الكنوز الثمينة التى يمتلكها العالم كل ذلك سيضيع فى أتون حرب ستمتد بضراوة لتشمل كل أنحاء العالم صدقنى يا كونواى، إن هذا الحلم المزعج، سيصير حقيقة وهذا هو سبب وجودنا هنا، وصلواتنا لتفادى الخطر الذى سيحيق بالعالم كله.

قال كونواى : «لكى نتفاداه؟»

ـ «هناك فرصة سوف يحدث كل ذلك قبل أن تصير عجوزاً مثلى»

ـ «وهل تعتقد أن شانجرى ـ لا، سينجو من ذلك الخطر؟

ـ «ربما نحن لا نستطيع توقع الرحمة، لكننا نأمل فى ألا تنسانا سنبقى هنا، مع كتبنا وموسيقانا وتأملاتنا الهادئة، نرعى تلك الكنوز الثمينة الرائعة من عصر يموت، ونبحث عن الحكمة التى سيكون الناس فى حاجة إليها عندما يتعبون من الكراهية والقوة.

ـ «وماذا بعد؟»

ـ «بعد ذلك، يا بنى، قد يأتى زمن نستطيع فيه أن نعلم الناس المعنى الحقيقى للحياة والجمال»

نهض اللاما الأكبر من فوق مقعده ببطء، وفجأه فعل كونواى مالم يفعله أبداً لأى إنسان من قبل، فقد ركع، وهو يعرف تماماً السبب فى فعله ذلك. وقـال : «لقد فهمت قصدك، أيها الأب».

لا يذكر على الاطلاق كيف غادر المكان، لقد كان فى حلم لم يستيقظ منه إلا بعد فترة طويلة كل ما يذكره أن الهواء فى تلك الليلة كان بارداً بعد ذلك الدفء الموجود فى الحجرات العليا، وأن تشانج كان يسير بجانبه صامتاً وهما يعبران الفناء سوياً لم يقل تشانج شيئاً ولا هو كذلك كان الوقت متأخراً جداً، وكان سعيداً بكون كل الآخرين قد ذهبوا إلى الفراش.

الفصل التاسع

فى الصباح، تساءل كونواى عما إذا كان كل ما حدث الليلة الماضية مجرد حلم، ثم تيقن أن زيارته للاما الأكبر قد حدثت بالفعل وعندما ذهب للإفطار ووجه بفيض من الأسئلة.

بدأها الأمريكى : «بالتأكيد، كان لك حديث طويل معه الليلة الماضية ظللنا ننتظرك، لكننا تعبنا ماهى طبيعة شخصية اللاما الأكبر؟»

سأله مالينسون باهتمام «هل ذكر شيئاً عن موضوع الحمالين؟»

أجاب كونواى بحذر : «أخشى أن أخيب آمالكم، لم يذكر شيئاً عن الحمالين قط أما بالنسبة لمظهره، فكل ما أستطيع أن أقوله، أنه رجل عجوز جداً يتكلم إنجليزية ممتازة وفى منتهى الذكاء.

قاطعه مالينسون بضيق : «لماذا لم تثر مشكلة الحمالين؟»

ـ «أنا لم أفكر فى ذلك مطلقاً».

تطلع إليه مالينسون بدهشه، وقال : «أنا لا أفهمك، يا كونواى، لقد كنت تتصرف بشكل جيد فى مشكلة باسكال. أنا لا أصدق أنك نفس الرجل، يبدو أنك قد تغيرت تماماً».

أجاب كونواى باقتضاب: «أنا آسف».

وترك مائدة الإفطار وخرج إلى الفناء لتجنب مزيد من النقاش فى هذه اللحظة.

كان فى حاجة شديدة للسيطرة على النفس، لمساعدته على الحياة المزدوجة التى يتحتم عليه أن ينتهجها خلال الأسابيع القليلة القادمة. فقد كان عليه أن يتظاهر أمام رفاقه الثلاثة، بالإهتمام بمسألة وصول الحمالين وعودتهم إلى الهند؛ لكنه عندما يكون وحيداً، كان يترك نفسه لأحلام ذلك المستقبل الذى لا يصدق، الممتد أمامه أخذ اسم القمر الأزرق معنى جديدا بالنسبة له، كما لو أن المستقبل من الممكن قد يحدث فى القمر الأزرق فقط.

أما تشانج فقد أصبح يتحدث إليه بحرية الآن، ودارت بينهما حوارات كثيرة حول شئون المعبد عرف كونواى أنه يتحتم عليه خلال الخمس سنوات الأولى، أن يحيا حياة عادية، دون أى شروط خاصة.

وهذا عادة ما يتم، كما **قال تشانج**، حتى يتعود الجسد على الإرتفاع، ويتغلب العقل على كل مشاعر القلق والندم.

قال كونواى بابتسامة : «هل أنت متأكد تماماً أن تأثير الوجدان الإنسانى لايستطيع الصمود بعد خمس سنوات؟»

فأجاب الصينى : «بل يستطيع، لكن فى ذلك الوقت سيكون الأمر مجرد رائحة ذكريات فقط».

ثم واصل شرحه، بأنه بعد مضى الخمس سنوات الأولى، تبدأ عملية تأخير مرحلة الشيخوخة فإذا تمت بنجاح، فإن كونواى سيظل يبدو فى سن الأربعين، لمدة خمسين سنة قادمة.

سأل كونواى : «لكن ماذا عنك أنت؟ كيف تمضى الأمور معك؟»

أجاب كونواى : «من حسن حظى، عندما وصلت إلى هنا كنت شاباً صغيراً فى الثانية والعشرين فقط. كنت جنديا. كنا نقاتل بعض القبائل المعادية عام ١٨٥٥، ثم ضللت طريقى بين الجبال كنت فى حالة مرضية شديدة، عندما تم إنقاذى وإحضارى إلى تشانجرى ـ لا.

قال كونواى ببطء : «فى الثانية والعشرين، إذن فعمرك الآن سبعة وتسعون؟

ـ «نعم وآمل قريبا جداً أن أصبح لاما

ـ «وماذا سيحدث بعد ذلك؟ إلى أى سن تتوقع أن تعيش؟

أجاب تشانج بهدوء : «ربما قرنا آخر أو يزيد»

ـ «ومتى بدأ مظهرك يبدو عجوزا؟

ـ «عندما جاوزت التسعين ، رغم أن مظهرى يبدو أصغر من سنى»

قال كونواى : «أنت تبدو كذلك فعلا لكن نفترض أنك تركت الوادى الآن؟ ما الذى يمكن أن يحدث؟

ـ «أموت، لو أننى بقيت خارج الوادى أكثر من عدة أيام.

قال كونواى : «إذن، فهواء الوادى ضرورى لكن ماذا كان يحدث لو أنك تركت الوادى منذ ثلاثين عاماً مضت، عندما كان سنك الحقيقى سبعة وستين عاما ومازلت تبدو شاباً؟

أجاب تشانج : «من المحتمل أننى كنت أموت، حينئذ وعلى أى الأحوال، لقد بدأت أبدو بمظهر سنى الحقيقى كان لدينا مثال لذلك، منذ عدة سنين خرج أحد رجالنا من الوادى للبحث عن مجموعة من المسافرين كان هذا الرجل فى سن الأربعين عندما جاءنا وظل يبدو فى نفس السن حتى أصبح سنة ثمانين عاما. كان من المفترض أن يغيب أسبوعاً واحداً، لكنه لسوء حظه وقع أسيراً فى أيدى القبائل الجوالة، وأخذوه معهم إلى منطقة بعيدة بعد مضى ثلاثة أشهر نجح فى الهرب، وعاد إلينا. لكنه كان شخصاً

مختلفا تماماً، إذ أصبحت تصرفاته ومظهره، كرجل عجوز فى الثمانين مات بعد ذلك بفترة قصيرة، كأى رجل عجوز يموت».

قال كونواى بهدوء: «قصة مخيفة، يانشانج، نجعل الإنسان يشعر بأن الزمن يتربص له خارج الوادى؛ ويقبض على أرواح أولئك الذين يدبرون للفرار».

خلال الأيام القليلة التي تلت، قابل كونواى العديد ممن أصبحوا «لاما» من بينهم مكتشف ألمانى يدعى «ميستر»، دخل المعبد عندما كان عمره ثمانية وعشرين عاماً، وبعد يوم أو يومين قابل ذلك الرجل الذى جاء ذكره على لسان اللاما الأكبر «الموسيقى» الفونسو برياك» كان رجلاً فرنسيا نحيفا قليل الحجم، ولا يبدو عجوزا، رغم أنه أدعى أنه كان تلميذا لشوبان تحدث معه برياك عن شوبان وعزف أشهر ألحانه بمهارة فائقة كان الرجل الفرنسى يعرف الكثير من مؤلفات شوبان التى لم تنشر على الاطلاق، قضى كونواى عدة ساعات سارة، وهما يتسامران.

وكانت هناك أيضا «لو - تسن»، التى كانت تتواجد غالباً فى حجرة الموسيقى، وكان كونواى يحرص على سماع عزفها الرقيق المتكامل على البيانو كانت تتكلم قليلا، رغم أنها كانت تعلم الآن، أن كونواى يستطيع التحدث بلغتها ذات مرة سأل تشانج عن حكايتها، فعلم أنها تنحدر من أسرة ملكية منشورية.

قال له تشانج : «كانت مسافرة إلى «كاشجار» للزواج من أمير تركستانى، وضلت القافلة طريقها».

ـ «متى حدث ذلك؟»

ـ «عام ١٨٨٤ ، كان عمرها ثمانية عشر عاما».

ـ «ثمانية عشر عاما؟»

إنحنى تشانج وقال : «نعم، نجحنا معها تماماً، ويمكنك أن تحكم بنفسك»

أصابت كونواى دهشة شديد، لمواصلة الحوار وبعد فترة صمت ، قال : «متى تظن أننى سأقابل اللاما الأكبر ثانية؟»

أجاب تشانج : «ربما فى نهاية الخمس سنوات الأولى، يا سيدى العزيز»

لكنه كان مخطئاً فبعد أقل من شهر من وصوله إلى شانجرى ـ لا ـ أستدعى كونواى إلى تلك الحجرة الدافئة.

الفصــــــل العاشر

قال تشانج عندما علم أن اللاما الأكبر قد إستدعى كونواى ثانية لمقابلته : «هذا شيء فوق العادة»، وعلل ذلك بأنه لم يحدث من قبل أبداً فاللاما الأكبر لا يستدعى أحداً لمقابلته ثانية إلا بعد مرور الخمس سنوات الأولى فالحديث مع الوافدين الجدد العاديين كان يمثل عبئا ثقيلا عليه.

لم يكن الأمر بطبيعة الحال بالنسبة لكونواى غير عادى، شأنه شأن أى شيء آخر، وبعد أن قام بزيارة اللاما الأكبر للمرة الثالثة والرابعة، بدأ يشعر بأن الأمر عادى جداً وبمرور الأيام والأسابيع راوده إحساس كامل بالرضا والقناعة لقد بهره وادى القمر بسحره، ولم يعد هناك مجال للهرب، مثلما حدث مع برُلوت وهنشل وآخرين.

كما كان يعرف أنه وقع بهدوء فى غرام الفتاة المنشورية الصغيرة كان حبه دون غرض، ولا حتى أى إستجابة كان معبد

شانجرى ـ لا ، والآنسة لو ـ تسن، بالنسبة له هما الكمال التام، فى هذه اللحظة لم يرغب فى شىء من الفتاة المنشورية سوى حضرتها الرقيقة.

بينما كان يمر عبر حوض اللوتس ليلا، كان يتخيلها أحياناً بين ذراعيه، لكن الإحساس بالزمن اللانهائى سرعان ما إكتسح حلمه ظل واقفاً فى هدوء وصبر وتأنى، حتى وصل إلى يقين بأن الزمن سيكون بين يديه، الزمن من أجل تحقيق كل شىء كان يتمنى حدوثه خلال سنة أو عشر سنوات، لا يهم، فمازال هناك وقت سيطرت الفكرة عليه، وكان سعيداً بذلك.

بعد ذلك، فى فترات الراحة، كان يخطو إلى الحياة الأخرى، ليلتقى بعصبية مالينسون وعدم صبره، ونكات بارنارد وسخريته، والآنسة برنكلو بمرحها شعر بأنه سيكون سعيداً عندما يعرفون الكثير مما عرفه هو، رغم أنه كان متأكدا من أنه لا الأمريكى ولا الآنسة برنكلو سيوافقان على هذه الألغاز الصعبة ذات يوم سر كثيراً عندما قال بارنارد :

«أتعرف يا كونواى، أعتقد أن هذا المكان يمكن أن يكون أنسب مكان أستقر فيه فى البداية تصورت أننى قد أفتقد الصحف والسينما، لكننى أرى أنه من الممكن التعود على أى شىء.»

وافقة كونواى بابتسامة، وقال : «أرى أنه من الممكن».

واصل الأمريكى كلامه : «وهذا يقودنى إلى شىء كنت أريد

أن أقوله لقد قررت ألا أذهب مع الحمالين هذه المرة أعتقد أنهم يحضرون إلى هنا فى رحلات منتظمة، وسوف أبقى للرحلة القادمة» ـ «تعنى أنك لن ترحل معنا؟».

ـ «نعم ... لقد قررت البقاء هنا لفترة الأمور كلها على ما يرام بالنسبة لكم... كل منكم سوف يقابل بالترحاب عندما تعودون إلى الوطن، لكن الترحاب الوحيد الذى سأقابل به عندما أعود، سيكون من قبل البوليس وكلما فكرت كثيراً فى ذلك، كلما قل حماسى للعودة».

قال مالينسون ببرود : «أرى أن ذلك شأنك الخاص لا أحد يستطيع أن يمنعك من قضاء كل حياتك هنا، إذا كنت ترغب ذلك».

فجأه نحت الآنسة برنكلو كتابها جانبا، وقالت : «أنا، فى الواقع، أعتقد أننى سأبقى هنا، أيضا».

صاح الجميع : «ماذا؟»

واصلت كلامها بابتسامة مشرقة : «أنا على يقين بأن الله أرسلنى إلى هنا من أجل هدف ما، ولذا سأبقى» تطلعوا إليها فى صمت، لكنها واصلت كلامها : «أريد أن أعلمهم المسيحية وهذا هو السبب الذى جعلنى أتعلم لغة أهل التبت أنا أعرف الآن كيف أتعامل مع هؤلاء الناس ـ سأشق طريقى، ولن أخاف أبدا».

قال بارنارد وهو يضحك : «عظيم، هذا ما قلته بالضبط، هناك شيء جذاب في هذا المكان!».

قال مالينسون غاضبا : «هذا ممكن، لو تصادف أنك تحب السجن»

بعد ذلك تحدث مع كونواى على انفراد، قال : «هـذا البارنارد يضايقنى، وأنا لست أسفاً لأنه لن يكون معنا عند عودتنا» ظل واقفا للحظة صامتاً، ثم إنفجر قائلا : «كل ما أرغبه، أن نأخذ الفتاة الصينية بدلا منه».

أمسك كونواى ذراعه برقة، وكله إحساس بالشفقة، فهذا الشاب بكل رغبته وحيوته، سيصدم عندما يعرف الحقيقة ثم قال برقة : «لا داعى للقلق على لو ـ تسن فهى سعيدة بما فيه الكفاية».

فى المرة التالية التى رأ ى فيها تشانج، قال له كونواى : «أنا قلق على مالينسون أخشى أن يغضب بشدة عندما يكتشف الحقيقة».

طأطأ تشانج رأسه بتعاطف وقال : «نعم، لن يكون الأمر سهلاً لإقناعه بحظه الطيب لكن خلال عشرين عاماً من الآن سيكون راضياً تماماً.

شعر كونواى بأن تشانج كان ينظر إلى الأمر بمنتهى الهدوء فقال: «أنا أتساءل الآن كيف ستخبره إنه بعد الأيام إنتظاراً لوصول الحمالين أما إذا لم يحضروا...».

- «سوف يحضرون نحن نتوقع وصولهم خلال الأسابيع القليلة القادمة».

- «إذن سيكون الأمر صعباً لمنع ماليسون من الذهاب معهم».

قال تشانج : «لن نحاول منعه سوف يكتشف بنفسه أن الحمالين ليسوا على إستعداد لأخذ أى أحد معهم سيصاب بخيبة الأمل، بالطبع لكن سرعان ما سيعاوده الأمل فى العودة مع المجموعة التالية من الحمالين، المتوقع وصولها خلال تسع أو عشر شهور، إذا كان لديها إستعداد لأخذه معها».

قال كونواى بحده : «أعتقد أنك على خطأ فهو على إستعداد لمحاولة الهرب وحده».

- «الهرب؟ هل هذه هى الكلمة التى ينبغى إستخدامها حقا؟ على أى الأحوال الممر مفتوح لكل الناس».

- «إذن فأنتم تهيئون الفرصة أمام الناس للهرب لأنكم تعلمون أى حماقة يرتكبها من يقوم بذلك. ورغم ذلك، أعتقد أن هناك من فعلها».

أقر تشانج بذلك ، وقال : «حدث فعلا، ولمرات قليلة لكنهم يكونوا سعداء لعودتهم بعد معاناة الوحدة أثناء الليل فى العراء».

كان كونواى يرغب فى إعطاء إذن رسمى لماليسون بالذهاب، وسأل تشانج عما إذا كان ذلك ممكنا.

أجـاب تشـانج : «ممكن بالتـأكيد، لكن أليس من الحكمة أن نطمئن أنفسنا ومستقبلنا من رد فعل زملائك؟

أقر كوانواى بأن تشانج على صواب فليس هناك شك فيما يمكن أن يفعله ماالينسون عندما يصل إلى الهند فسيعترض على شانجرى ـ لا، ويكتب للحكومة تقريراً فوراً.

وبينما كان كونواى يتحدث عن معاناة ذلك الشاب بتعاطف، إكتشف أن اللاما الأكبر يشاركه قلقه فقد كان غالبا ما يزور الرجل العجوز فى أوقات متأخرة من المساء، ويبقى لعدة ساعات، حتى بعد أن يأخذ الخدم أوانى الشاى الفارغة، ويصرفون للراحة أثناء الليل.

لم يحدث أن أخطأ الرجل أبداً وسأله عن رفاقه الثلاثة، لكنه ذات ليلة قال : «أمازال صديقك الشاب غير مستريح!»

قال كونواى : «أجل وسوف يصبح مشكلة»

ـ «أخشى أن يصبح مشكلتك أنت».

سأله كونواى بدهشة : «لماذا مشكلتى؟»

أجاب اللاما الأكبر ببساطة شديدة جداً : «لأننى سوف أموت، يا بنى».

بدت العبارة غريبة، وظل كونواى صامتاً لفترة واصل اللاما الأكبر حديثه : «لا تدهش، يابنى؟ فكلنا فانون ـ حتى لو كنا فى

شانجرى ـ لا من الممكن أن أظل أحيا ما تبقى لى من عمر ـ وقد تكون لحظات قليلة ـ أو بضع سنوات ـ كل مـــا أريد أن أقـــولـه ببساطة، هو أننى أرى النهاية فعلاً وأنا راض تماما، لكن كل ما أريد أن أتأكد منه، أن يكون لدى الوقت لأنجاز شىء واحد فقط هل تستطيع أن تتصور ماهو؟،

ظل كونواى صامتا.

ـ «إنه يخصك، يابنى؟

انحنى كونواى قليـلاً، لكنه لم يتكلم، فواصل اللاما الأكبر كلامـه : «ربما تعلم، أن حواراتنا المفتوحة، كانت غير عادية هنا لأنه ليس لدينا قـواعـد ثابتـة نحن نتـصـرف كـمـا نـفكر بالـضـبط ونسـترشـد قليـلاً بتـجـارب الماضـى، وبالكثير من حكمتنا الحاليـة وبأملنا فى المستقبل.

وهذا ما جعلنى أجرؤ على اتخاذ هذا القرار النهائى،

ظل كونواى صامتا.

«لقد انتظرتك فترة طويلة، يا بنى لقد جلست فى هذه الحـجرة ورأيت وجوه الوافدين الجدد، ودائماً ما كنت آمل أن أجدك يوماً ما. أريدك أن تحل مكانى فى شانجرى ـ لا».

توقف الرجل العجوز عن الكلام، ثم قال برقه : «صديقى، إن ما أطلبه منك ليس شيئاً مستحيلا، لكى تقوم به مـجرد أن تكون

رقيقاً، صبوراً، ترعى ثروات العقل، تحمى الناس هنا، حينما تحتدم العاصفة في العالم الخارجى سيكون كل شىء سهلاً وبسيطاً بالنسبة لك، وسوف تجد سعادة كبيره فى ذلك دون شك».

حــاول كـونـواى أن يرد، لكنه لم يستطع لحظتـها حـدث وميض برق خلف ستارة النافذه، ثم قصف رعـد على مسافة بعيدة، وأخيراً قال : «العاصفة... أتقصد هذه العاصفة التى...»

ـ «بل هى عاصفة لم يشهد العالم مثلها من قبل، يا بنى سوف تندلع الحرب وتسحق كل شىء جميل، كل تراث الإنسانية سينهار لن يكون هناك مـجال للهرب أو النجاة، فيما عـدا مكان مـثل شانجرى ـ لا لأنه مكان من الصعب جداً الوصول إليه، ومتواضع جداً بحيث لا يلحظ كما أن الطائرات المحملة بأطنان من الموت، التى ستدمر المدن العظيمة لن تمر من فوقنا».

ـ «وهل تعتقد أن كل ذلك سوف يحدث فى زمنى؟»

ـ «أعتقد أنك ستعاصر العاصفة، وساعتها تكون قد غدوت أكبر سنا وأكثر صبراً، وحكمة سوف تكرم وفادة الغرباء وتعلمهم قواعد الحكمـة وربما ينجح واحـد من هؤلاء الغرباء فى خلافتك عندما تصبح عجوزاً جداً. أنا أرى المستقبل البعيد، عالماً جديداً يفتش فى الحطام القديم بحثاً عن الكنوز الضائعة كل هذه الكنوز ستكون هنا،



وتبين له أن مالينسون يمسك بذراعه

يابنى، مخبأة خلف الجبال فى وادى القمر الأزرق، حافظنا عليها من أجل سعادة وهناء العالم الجديد».

توقف الصوت، وأبصر كونواى وجه الرجل يشع جمالاً غريبا متكاملا عيناه مغلقتان وبلا حراك تماماً راقبه لفتره، وخيل له أن هذا جزء من حلم، لكنه أيقن أن اللاما الأكبر قد مات!

وقف كونواى عند نافذة الحجرة المظلمة، وكله ريبة فى الأمر فوجد السماء صافية، رغم أن البرق كان لايزال يلتمع خلف الجبال عرف، وهو لايزال غارقاً فى حلمه، أنه الآن أصبح سيد شانجرى-لا. كل الأشياء الأثيره لديه كانت تحيط به، هذا الهدوء، وأشياء خالدة، يستطيع أن يحيا بها بعيداً عن قلق العالم المتعجل أخيراً خرج إلى الفناء ومر بحوض اللوتس؛ والقمر يبحر متكاملا خلف جبل كاركال.

تبين فيما بعد أن ماليتسون بالقرب منه يمسك بذراعه ويأخذه بعيداً فى عجله لم يدرك سبب كل ذلك، لكنه سمعه يتكلم بتوتر شديد.

الفصـــل الحادى عشر

وصلا الحجرة التى يتناولون فيها الطعام، فقال مالينسون على عجل «هيا، ياكونواى لابد أن نجهز حاجياتنا، ونخرج من هنا قبل شروق الشمس فالحمالون على بعد خمسة أميال من مدخل الممر الجبلى وصلوا بالأمس بحمولات من الكتب وأشياء أخرى، وغداً سيبدأون رحلة العودة... هيه، ماذا بك؛ هل أنت مريض؟

تهاوى كونواى على أحد المقاعد، ومال إلى الأمام وأسند ذراعيه على المائدة؛ ومر بيده فوق عينيه قال حالما : «مريض؟ كلا، لا أظن ذلك بل .. مجهد .. تقريبا».

ـ «ربما بسبب العاصفة أين كنت طوال ذلك الوقت؟

إنتظرتك عدة ساعات».

ـ «كنت .. كنت فى زيارة اللاما الأكبر»

ـ «كنت فى زيارته! لعلها تكون الزيارة الأخيرة، شكرا لله»

ـ «نعم يا ماليسون، الزيارة الأخيرة».

حاول كونواى أن يسيطر على نفسه، فأشعل سيجارة فإكتشف أن يديه وشفتيه بهم رعشه، فقال : «يخيل لى أننى لم أدرك تماما ما تريده .. تقول الحمالين..»

ـ «نعم، الحمالون، يا رجل! لابد أن ترحل فوراً».

ـ «فوراً؟» بذل كونواى جهداً مضاعفاً ليوقظ نفسه من حلمه العالمى وأخيراً قال: «وهل أنت متأكد أن المسألة بمثل هذه السهولة كما تتصور؟ ما يدريك أن الحمالين سيوافقون على مرافقتك لهم؛ الأمر يحتاج إلى ترتيب، وتخطيط واع».

قال مالينسون: «كل شيء تم إعداده وقد تم الدفع للحمالين مقدماً ووافقوا على مصاحبتنا لهم. وهاهى ملابس وطعام للرحلة الكل جاهز، هيا، ياكونواى، يجب أن نذهب» ثم بدأ يرتدى حذاء جبليا من أحذية أهل التبت.

ـ «لكن من قام بكل هذه الترتيبات؟

أجاب مالينسون بحدة : «لو ـ تسن. أنها مع الحمالين الآن، تنتظر».

ـ «تنتظر؟»

- «نعم فهى آتية معنا آمل ألا يضايقك هذا».

عند ذكر اسم ليو- تسن، صاح كونواى بحدة : «هذا كلام فارغ مستحيل».

سأله مالينسون بغضب : «لماذا مستحيل؟»

- «لأنها ... يعنى، لأنها هناك عدة أسباب كثيرة. خذها منى كلمة. هذا مستحيل تماماً».

جادله مالينسون : «ليس مستحيلاً على الاطلاق فهى تريد مغادرة المكان»

قال كونواى : «إنها لا تريد مغادرة المكان. الخطأ نابع من هنا إنها سعيدة هنا تماماً».

إبتسم مالينسون وسأله «إذن لماذا قالت إنها تريد الذهاب معنا؟»

- «هى قالت ذلك؟ كيف إستطاعت؟ فهى لا تتحدث الإنجليزية».

- «سألتها بلغة أهل التبت الآنسة برنكلو قامت بالترجمة».

ترك كونواى السيجارة تسقط من بين أصابعه. شعر بالإجهاد والتعب.

ثم قال بوهن : «إلى أين تظن أنها ستذهب، لو أنها تركت المكان هنا؟

أجاب ماليسنون : «لابد أن لها أصدقاء فى الصين أو فى أى مكان آخر أنا نفسى سأقوم برعايتها، إذا لم يقم أحد بذلك وعلى أى حال، لو أنك كنت تقوم بإنقاذ بعض الناس من شرما، فهل تهتم بالاستفسار عما إذا كان لديهم مكان يذهبون إليه».

ـ «وأنت ترى أن شانجرى ـ لا، شر؟»

ـ «نعم، أراه كـذلك . هناك شىء غـامض وشـرير، فى هذا المكان».

قال كونواى ببطء : «لابد أن أقول لك شيئاً عندما تسمعه، فسوف تتأكد من السبب الذى يمنعها من العودة معك».

بعد ذلك سرد عليه باختصار شديد على قدر ما يستطيع القصة الكاملة لمعبد شانجرى ـ لا، كما سمعها من اللاما الأكبر كان يتكلم بطلاقة وسرعة عندما وصل إلى نهاية القصة، شعر بالراحة؛ وبدا عليه الهدوء لثقته بأنه حكاها بشكل جيد.

شرع ماليسنون ينقر بأصابعه على المائدة وقال بعد فترة إنتظار طويلة : «أنا فى الحقيقة لا أعرف ماذا أقول، ياكونواى ... فيما عدا أنك لابد أن تكون قد جننت تماماً».

حملق الرجلان فى بعضهما أصيب كونواى بالدهشة والإحباط، فى حين كان ماليسنون مضطربا ومنفعلا وأخيرا قال كونواى : «إذن فأنت تعتقد أننى مجنون؟»

ضحك مالينسون وقال بعدم إرتياح : «ما أعنيه ... أن الأمر كله هراء كل ما قلته عن إمتداد عمر اللاما إلى مئات السنين ومعرفة السبيل للإحتفاظ بشبابهم إلى الأبد. كل ذلك مستحيل تماماً»

قال كونواى : «أعترف بأنها قصة غريبة لكنك بالتأكيد رأيت بنفسك ما يكفى، لتتأكد أن هذا المكان، مكان غريب؟ فكر فى كل ما رأيناه فعلا؛ وادٍ ضائع فى وسط جبال مجهولة، ومعبد به مكتبة تحوى كتباً أوربية .....».

- «ونباتات إستوائية، وحمامات أوربية كل هذا رائع جداً، أعرف»

- «إذن، ماهو تفسيرك لذلك؟»

- «لا أعرف .. إنه سر غامض للغاية لكن كونى أصدق وجود حمامات بمياه ساخنة إستخدمناها بالفعل، فهذا يختلف عن كونى أصدق أن أعمار الناس هنا تمتد لمئات السنين، لمجرد أنهم قالوا لك ذلك» ثم نظر إلى كونواى بقلق وقال : «هيا، ياكونواى ... جهز حاجياتك ودعنا نذهب سوف ننهى هذا النقاش عندما نعود إلى الهند».

أجاب كونواى فى هدوء : «ليست بى رغبة فى العودة إلى الهند اطلاقا».

ـ «هل تعنى أنك لن تأتى معى؟ سوف تبقى هنا مثل بارنارد والآنسة برنكلو؟ إذن فاتت على الأقل لن تمنعى من الخروج من هنا! هب مالينسون واقفا وإتجه ناحية الباب وخرج بعصبية شديده: «أنت مجنون! مجنون تماما أنا ذاهب، لأوفى بوعدى».

ـ «وعدت لو ـ تسن؟

ـ «نعم».

نهض كونواى وأمسك يده، وقال : «وداعاً، يا مالينسون».

ـ «للمرة الأخيرة، ألن تأتى؟»

أجاب كونواى بصعوبة: «لا أستطيع» فصافح الأثنان، وخرج مالينسون.

جلس كونواى وحيداً تحت ضوء الفانوس، يفكر فى كل ما قاله اللاما الأكبر أثناء جلساتهما الطويلة معاً بعد مضى بعض الوقت تطلع إلى ساعته، كانت الثالثة إلا عشر دقائق.

كان لايزال جالساً إلى المائدة، يدخن آخر سيجارة معه، عندما عاد مالينسون وقف عند الباب صامتاً بعد إنتظار للحظة، قال كونواى :

ـ «أهلا، ماذا حدث؟ لماذا عدت؟»

تقدم مالينسون ببطء إلى داخل الحجرة خلع معطفه الثقيل وجلس. كان وجهه شاحبا، وجسده كل يهتز.

قال بتعاسة : «لقد انتابنى الخوف! لقد ذهبت إلى هناك، ومن ثم ربطونا كلنا بالحبال... بعد ذلك لم أستطع المضى. لم أجرؤ».

وبدأ يضحك ويبكى فى نفس الوقت ثم قال بهياج : «هؤلاء الناس، ليسوا فى حاجة للقلق عليهم، فلن يفكر أحد على الإطلاق فى تهديد شانجرى ـ لا، من البر، لكن، آه يا إلهى، كم أود أن أطير فوق المكان بحمولة من القنابل!».

ـ «لماذا تريد فعل ذلك، يا مالينسون؟»

ـ «لأن المكان فى حاجة لأن يُسحق فهو غير صحى وغير نظيف مجموعة مرعبة من العجائز يجلسون هنا مثل العناكب، فى إنتظار صيد أى أحد يقترب من المكان... شىء مقزز لماذا لا تريد أن تأتى معى، ياكونواى؟ أكره أن أتوسل إليك لتأتى معى من أجل خاطرى، فأنا شاب ويجب أن أرحل من هنا، وكذلك لو ـ تسن، فهى شابة أيضا : ... ألا تهمك فى شىء هى الأخرى؟

قال كونواى : «لو ـ تسن، ليست شابة.

رفع مالينسون بصره إلى أعلى، وقال : «ليست شابة.. ليست شابة! أنها تبدو فى حوالى السابعة عشره، لكنى أتوقع منك أن تقول لى إنها فى حوالى التسعين».

ـ «لقد جاءت إلى هنا عام ١٨٨٤، يا مالينسون».

ـ «أنت رجل مجنون!» .

ـ «إن جمالها يعيش فقط حيث تقدر الأشياء الجميلة خذها بعيداً عن الوادى، وستجد أن جمالها يذوى ستتحول إلى امرأة عجوز.

ضحك مالينسون بصوت أجش : «أنا لا أخشى من ذلك ماهى أدلتك التى تستطيع أن تقدمها لتدعيم قصتك، ماذا لديك من إثباتات؟ هل حكيت لك لو ـ تسن تاريخها؟

ـ «كلا ، لكن...»

ـ «إذن، لماذا تصدق ذلك من أى إنسان آخر؟ أنت تقول إنهم يستعملون نوعاً من المخدر يكسبهم الحيوية والشباب عظيم، أنا أريد أن أعرف نوع هذا المخدر؟ هل حدث أن رأيته أو جربته ؟»

ـ «كلا» وبدأ كونواى يتساءل بهدوء، إذ ربما يكون مالينسون على صواب، وأنه صدق كل هذه الأشياء، لأن لديه رغبة شديدة لتصديقهم .

سأله مالينسون «ألم يحدث أبداً» أن سألتَ عن التفاصيل؟ لقد خالت عليك القصة كلها وإبتلعتها» .

وعندما رأى ظلال الشك على وجه كونواى، إستأنف كلامه: «وكل ذلك الحديث عن الحرب القادمة كيف يتسنى لأى شخص أن يعرف متى ستنشب الحرب القادمة، ولا كيف سيكون حالها؟

ظل كونواى صامتا وواصل مالينسون كلامه بيأس: «أنا لا أفهمك وكم أود أن أفهمك... ! كم أود أن أفهمك! كونواى، ألا أستطيع أن أساعدك؟ أهناك أى شىء من الممكن أن أقوله أو أفعله؟

خيم صمت طويل كسره كونواى أخيرًا بقوله : «هناك سؤال واحد فقط، أود أن أسأله أرجو أن تغفر لى لسؤاله»

- «ماهو؟»

- «هل تحب لو - تسن ؟»

أجاب مالينسون ببطء: «أعتقد ذلك. أعلم أنك ستعتبر ذلك تهوراً، لكننى لا أستطيع مقاومة مشاعرى».

قال كونواى : «وأنا لا أستطيع مقاومة مشاعرى أيضا فأنت وتلك الفتاة، هما من أهتم بهما للغاية... دوناً عن أى شخص فى العالم ... رغم أنك قد تجد ذلك شيئاً غريبا».

نهض وأخذ يخطو فى الحجرة فى حزن وقلق ثم سأل كونواى فجأه : «كيف تسنى لك حقيقة أن تعرف بأن لو - تسن فتاة شابة؟ وانتظر الإجابة وهو يحبس أنفاسه، فقد كان يعتمد عليها كثيراً.

إلتفت مالينسون نصف إلتفاته، وتحدث إليه برقة من فوق كتفه، وقال : «لأننى أعرف بالفعل أنت لم تستطع فهمها أبداً كما ينبغى ياكونواى هى باردة من السطح، وذلك بسبب معيشتها هنا - فقد جمد المكان دفئها الدفء موجود».

ـ «وأنت أذبت التجمد» .

ـ «أجل» .

ـ «وهى فتاة شابة ، هل أنت متأكد من ذلك ، ماالينسون؟

أجاب ماالينسون : «بحق الله نعم ـ إنها مجرد فتاة» .

توجه كونواى ناحية النافذة ، وتطلع إلى جبل كاركال فى لونه الأبيض الفضى وداهمه إحساس بأن الحلم قد إنتهى ، مثل كل الأشياء الجميلة الأخرى ، عند أول ملامسة للواقع لم يكن حقيقة تعيساً ، لكنه كان حزينا حزناً عميقاً محيراً . لم يكن يدرى عما إذا كان قد جن فعلا ، والآن أصبح عاقلاً ، أم أنه كان عاقلاً والآن أصبح مجنوناً . لقد أقسم ماالينسون أن لو ـ تسن شابة حقاً ، وبالتأكيد لابد أنه يعرف؟»

فجأة إستدار كونواى وواجه ماالينسون ، وسأله : «هل تعتقد أنك تستطيع تحمل ذلك الرباط الصعب بالجمال ، لو أننى جئت معك؟»

قفز ماالينسون إلى الأمام ، وصاح : «هل تعنى أنك ستأتى معى ، ياكونواى؟ قررت ذلك أخيراً؟»

غادرا المكان عندما إنتهى كونواى من إعداد نفسه للرحلة لم يدهشا لمغادرة المكان ، فقد شعرا بأن الأمر مجرد رحيل ـ أكثر من إحساسهما بأنه فرار لم يقابلا أحداً أثناء عبورهما الفناء الظليل .

وأخذ مالينسون يتحدث عن الرحلة دون إنقطاع، فى حين كان كونواى يسمعه بالكاد. كان من الغريب أن ينتهى نقاشهما على هذا النحو؛ وأن يغادر كونواى هذا المكان السرى الجميل فجأة هكذا، بعد أن عثر على مثل هذه السعادة هنا!

بعد أقل من ساعة، توقفا وهما متقطعا الأنفاس عند منحنى فى الممر، وألقيا نظرة أخيرة على شانجرى - لا وبدا وادى القمر الأزرق عميقاً فى أسفل، مثل بحر يكسوه السحاب، وأسقف البيوت تطفو على سطحه وكأنها قوارب صغيرة ملونة أعد كونواى الحبل للصعود أعلى مرحلة فى الممر. كان يعرف أنه حائر بين عالمين، ولابد أن يصبح حائراً إلى الأبد، بأنه بين الحلم والواقع؛ لكنه فى هذه اللحظة، كان كل ما يشعر به أنه يحب مالينسون ولابد أن يساعده كانا قد وصلا فى صعودهما إلى الجزء الذى كان يخشى مالينسون إجتيازه وحده، فقام كونواى بمساعدته فى إجتياز هذا الجزء بحرفية تسلق حقيقية .

وعندما وصلا إلى القمة، إستراحا لعدة دقائق، قال مالينسون

- ينبغى على أن أقول، ياكونواى بأن ما قمت به من أجلى شئ طيب جدا.. ربما تحس بما أشعر به حيالك... ولا أستطيع أن أعبر لك عن مدى إمتنانى» .

قال كونواى برقة : «لا داعى لأن تقول شيئاً» .



توقفا .. وألقيا نظرة أخيرة على المعبد

عند شروق الشمس، كانا قد وصلا إلى معسكر الحمالين، وجدا الرجال فى إنتظارهما، مستعدين ومتحمسين لبدء الرحلة إلى تاتسين ـ فو على حدود الصين، والتى تبعد ألفا ومائة ميل.

صاح مالينسون بإبتهاج عندما قابل لو ـ تسن : «إنه قادم معنا!» ونسى أنها لا تعرف الإنجليزية، لكن كونواى ترجم لها .

كان يبدو له أن هذه الفتاة المنشورية لا تشعر بالسعادة أبداً لكنها إبتسمت له إبتسامة فاتنة، فى حين كانت عيناها على مالينسون.

خـاتمـــة

حدث أن قابلت رثرفورد ثانية فى دلهى، بعد أن علمت أنه قد عاد تواً من كاشجار.

قلت له : «هل مازلت تبحث عن كونواى فعلا؟»

أجــاب : «البحث كلمة كبيرة جداً فأنت لاتستطيع أن تبحث عن فرد واحد فى بلد مساحته نصف مساحة أوربا كل ما أستطيع قوله، أننى قمت بزيارة عدة أماكن، على إحتمال الحصول على بعض المعلومــات آخر رسالة، على مـا أتذكر، تفيد بأنه غـادر بانكوك إلى الشمال الغربى .

ولقد تتبعتـه فى تلك المنطقة النائية من البلاد إلى حد مـا، لكننى لم أتوقع أبداً إمكانية العثور عليه، بعد تلك النهاية .

- «ألم يدر فى خاطرك، أنه قد يكون من الأسهل أن تبحث عنه فى وادى القمر؟»

ـ «نـعـم، بدا لى أن ذلك أنسب الأماكن للبحث عنه». ثم أشعل رثرفورد سيجارة وأكمل كلامه: «لكن ذلك كان يعنى قدراً كبيراً من السفر، ولابد أن أسافر آلاف الأميال لقد زرت باسكال وبانكوك وتشانج كيانج أما شانجرى ـ لا، فيقع فى مكان ما داخل المنطقة التى بينهم. وهى منطقة شاسعة، كما تعلم، وتحرياتى لم تتجاوز أكثر من حدودها».

ـ «إذن؛ فأنت لم تعثر على أى شيء فى منطقة التبت؟»

قال رثرفورد: «يا زميلى العزيز، أنا لم أذهب إلى منطقة التبت على الأطلاق المسئولون الحكوميون قالوا ـ وهم على صواب تماما ـ إن كل جوازات سفر العالم لا يمكن أن توصلنى أبعد من «كيون ـ لنز» إن هذه الجبال أقل الإماكن إكتشافاً فى العالم قابلت رحالة أمريكى حاول ذات مرة أن يخترقها، فلم يعرف سبيلاً لذلك لأنه لا توجد خرائط للمنطقة بطبيعة الحال وصفت له وادى القمر، وسألته عما إذا كان قد سمع عنه من قبل، لكنه أجاب بالنفى».

سألت رثرفورد عما إذا كانت أسماء «كاركال وشانجرى ـ لا» تعنى أى شيء للأمريكى.

أجاب رثرفورد : «لاشيء كما سألته عن المعابد التبتية كذلك لكنه قال : «أنا لست مهتما بالمعابد وذات مرة قابلت شخصاً من التبت حاول أن يقعنى بزيارة أحد هذه المعابد، لكننى رفضت»

أثارت هذه الملاحظة إهتمامى، فسألته متى تم هذا اللقاء.

فأجاب : «آه، منذ زمن طويل، **عام ١٩١١** على ما أعتقد». شرح الأمريكى ذلك، بأنه كان مسافرا ضمن مجموعة من المستكشفين الأمريكيين وقابلوا ذلك الشخص بالقرب من «كيون لنز» كان صينياً ويجلس على محفة يحملها رجال من أهل المنطقة كان يتكلم الإنجليزية بطلاقة ونصحهم بشدة لزيارة معبد معين يقع بالجوار كما عرض عليهم أن يصحبهم إلى هناك لكن الأمريكى **قال** إن ليس لديهم وقت، كما أنهم لايهتمون بزيارة مثل هذه الأماكن، كان ذلك ما حدث، **ثم واصل رثرفورد كلامه بعد فترة صمت وقال** : «أنا لا أظن أن ذلك ذو أهمية كبيرة فمن المحتمل ألا يكون ذلك المعبد، معبد شانجرى ـ لا على الاطلاق.

سألته : «هل علمت بأى شيء عن باسكال؟»

ـ «حاولت تتبع ذلك الشخص المدعو بارنارد، لأن ماضيه غامض جداً. ولن أدهش على الاطلاق ، لو أنه كان تشالمرز بريانت، **كما قال كونواى**.. إن اختفاء بريانت التام أمر محير جداً».

ـ «هل حاولت أن تعرف أى شيء عن ذلك الشخص المدعو تالو؟

ـ «حاولت.. لكن بلا جدوى لكننى وصلت إلى إكتشاف غريب للغاية كان هناك أستاذ ألمانى فى چينا حوالى منتصف القرن الماضى، زار التبت عام ١٨٨٧ هذا الشخص لم يعد إطلاقا، وهناك حكاية تقول إنه غرق أثناء عبوره أحد الأنهار اسمه «فردريش ميستر».

قلت «يا إلهى ـ إنه أحد الأسماء التى ذكرها كونواى! هل نجحت فى تتبع أثر أىٍ من الآخرين؟

ـ «كلا، لم أستطع الوصول إلى سجل لتلميذ لشوبان يدعى برياك رغم أن ذلك لا ينفى عدم وجود أحد بذلك الاسم أما برُلوت وهنشل فمن الصعب معرفة أى شىء عنهما».

سألته : «وماذا عن مالينسون؟ هل عرفت ماذا حدث له؟ وللفتاة الصينية أيضا؟».

ـ «ليس هناك أخبار على الاطلاق. الشىء المريك حقيقة إن قصة كونواى انتهت عند لحظة مغادرة الوادى مع الحمالين.وهو بعد ذلك، إما لم يستطع أو لم يردْ أن يخبرنى بما حدث أشعر أنه يمكننا القول بأن النهاية كانت مأساوية. من الواضح بالتأكيد أن مالينسون لم يصل مطلقاً إلى الصين قمت بكل أنواع التحريات فى شنغهاى وبكين حتى فى «تاتسين ـ فو» الواقعة على حدود التبت وإستقبلنى الناس بمنتهى الاحترام والود، لكن لم تكن لديهم أى معلومات عن وصول كونواى ورفاقه إطلاقاً .

- «إذن فنحن مازلنا لا نعلم كيف وصل كونواى إلى تشانج كيانج؟»

- «كلا، لا نعرف لابد أنه أخذ جولة هناك».

جلسنا نفكر فى صمت فترة طويلة، بعدها قال رثرفورد : «هناك نقطة هامة لابد أن أقولها، وربما تكون بشكل من الأشكال، أغرب نقطة فى الأمر كله وانتنى هذه الفكرة أثناء تحرياتى بمستشفى البعثة الطبية فى تشانج - كيانج سألتهم عما إذا كان كونواى قد وصل إلى المستشفى وحده، أم كان بصحبته شخص آخر فى البداية لم يستطيعوا التذكر، وفجأة قالت إحدى الراهبات : «أذكر أن الطبيب المعالج قال إنه أحضر إلى هنا بواسطة إحدى السيدات». وهذا الطبيب ترك مستشفى البعثة وإنتقل إلى مستشفى أكبر فى شنغهاى، فحصلت على عنوانه وذهبت لرؤيته هناك قال على الفور إنه يذكر حالة الإنجليزى الذى فقد ذاكرته فسألته، هل صحيح أن إمرأة أحضرته إلى المستشفى.

أجاب الطبيب : «نعم، بالتأكيد أحضرته إمرأة ـــ إمرأة صينية وكانت مريضة جداً هى الأخرى، وماتت على الفور.

- «سألته سؤالاً أخيرا، وأعتقد أنكم تعرفونه سألته :

- «هل كانت إمرأة شابه؟»

«تطلع إلى الطبيب الشاب بهدوء للحظة ثم أجاب : «كلا، كانت عجوزاً .. أعجز من أى إمرأة رأيتها قط فى حياتى!».

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع ٢٠٠١/١٤٣٣٥

I.S.B.N.977-01-7492-0



بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعا ملموسا حيا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامى وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانا ثقافيا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة فى مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الابن البكر ونجاح هذا المشروع كان سببا قويا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرا أساسيا وخالدا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى. تضيف دائما من جواهر الابداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادا ثقافيا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة 2001
مهرجان القراءة للجميع

١٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب